أزمة فهم لا أزمة أدب

بقلم
خالد سعود
الزيد

هناك ازمة فهم لمعنى الادب في العصر الحاضر يستوي فيها الاديب وغير الاديب . لذا اختلط المفهوم على الناس وعلى الاديب معا ، فماعرف الاديب موقعه من عصره وما عرف الناس موقع الاديب منهم .

لقد كان الاديب والشاعر ورجل الدين في القديم والى عهد قريب يتصدرون كل مجلس ، ويتحدثون في كل مسألة ومشكلة ، فلا ينفذ من دونهم امر ولا يصدر الا عن مشورتهم رأي . هم الناس وأرباب الناس ، لهم الكلمة وعن طريقهم تمر ، ثم انحسر هذا المجد وانحصر في سواهم من الناس وما عادوا هم وحدهم الطبقة المثقفة الواعية في المجتمع بل شاركهم في التثقيف والتعليم اخرون ما كان لهم من قبل مجد ولا قدم .

فلم يكن في القديم للاطباء شأن ولم يكن لاصحاب الالعاب الرياضية شأن ولا لعلماء العلوم شأن ، ولم يكن لارباب الصناعات شأن ولا للاجتماعيين والاقتصاديين والحقوقيين او لسواهم شأن .

فتغير العصر وتبدل المفهوم وتغيرت النظرة الى الاشياء وتسلم المهمة اخرون كانوا في اخر الركب بالامس ، فيوم كانت قصيدة الرصافي :

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها
تمشي وقد أثقل الاملاق ممشاها

تهز الناس وتفعل بهم الافاعيل جاء العصر ليقول ان هذا ليس من مهام الشاعر ولا الاديب انها من مهمة الصحافة ان تلاحقها اليوم ، وأنها من مهام رجال الاجتماع ، وأنها من مهام رجال الاقتصاد ليلاحقوها ويضعوا لها الحلول .

وان صورة فوتوغرافية أو لقطة تلفزيونية أو سينمائية لكارثة ، قد تغني عن كل هذا القول ولعلها تبعث في النفس من الاسى ما لا تبعثه مئات القصائد والخطب والمقالات .

لقد جاءت الصحافة لتلتقط شيئا من مهمة الشاعر ، وجاء اصحاب الاختصاص في كل مسألة ليقولوا للاديب كف عن القول وكف عن عرضك للامور بهذه الصورة التقريرية المباشرة . لقد تعددت الاساليب الفنية والادبية ولكل اسلوب من هذه الاساليب الادبية مختص ، وتعدد المعالجون في كل معضلة ، وأصبح لكل جزئية رجالها المختصون بها لا ينازعهم فيها منازع ، غير أن الناس ما زالوا على اعتقادهم القديم في الاديب والشاعر يحسبون أن الاديب والشاعر مسؤولان عن كل طارىء يطرأ على الناس والمجتمع فيحملونهما أوزار ما يطرأ ولا يحملون غيرهما من اصحاب الشأن والاختصاص العبء .

واغتر الاديب والشاعر بهذا القول فراحا يحملان نفسيهما كل هذه الاوزار ، عقدة حملاها معهما من اسلافهما فاختلط عليهما وعلى الناس المفهوم . وظنا وظن الناس معهما أنها أزمة أدب وأزمة اديب وانما هي أزمة فهم لمعنى الادب والاديب .

فعلى الاديب ان يعرف اليوم موقعه من العصر وعلى الناس أن يعرفوا موقع الاديب منهم ومن العصر .

خالد سعود الزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصهيل في الزوبعة

شعر
سليمان
الفليح

صهيل مع الريح ياتي وكانت خيول القبيلة
نياما على بعض أمجادهـــا والكلاب
سعارى تهر على ظلها والذئاب
تلوب البيوت الحزينة
وتفتض انيابها كـــل باب
ولما تجيء المغازي وتصحو القبيلة
على حلمها في صراع الذئاب
تفر الكـــلاب اللعينة
تخبيء أنيابهـــا في لحوم الخيول
لتبقى كسالى هجينـــه
تفرغ منهـــا الصهيل
وأبقى أنا تائها في البراري
على ضوء نجم يسمى سهيل
أشم السنابك فوق الرمال
مشيت ولكن ضللت السبيل
تعلقت في فجوة الموت حزنا
تهـــالكت
جاءت رفوف القطا ايقظتني
فدوى بأذني الهـــديل
تأملت .. قمـــت انتفضت صرخت الصهيـــل ...
الصهيل .. !!
ولكنني عدت آه .. الهديل .. العويل .. الهديل
رياح الخماسين اخفت صهيل الخيول الاصيلة
وكانت نجوم الثريا مرايا
يصور لون الصحاري عليها ركاب (الكحيله)
ويجتاح صمتي انكسار الثريا

بضوء المباني التي تنتصب في السماء القتيله
لهذا تعثرت بالرمل عند الحصون
وسرت وحيدا بدون عيون
وواصلت سيري لظعن القبيله

●●●

تسلقت سيفي وعانقت برج النجوم
مرارا تمزقت قبل الوصول
تساقطن مني الخصال الجميله
لاني تفاجأت أن الرياح
نبـــاح
لهـــذا كرهت النبـــاح
ففـــادرت شعري لاخلي سبيلـــه

●●●

وفي غمرة الحزن في ذات ليلـــه
من العمـــر كان انتهائي يجـــيء
رأيت الحصـــان الذي أسرجته القبيله
وحيدا مع الريـــح يأتـــي
شهابـــا يضـــيء
بلا سرجه والقيود الثقيلـــه
طليقـــا بوجهي القتيل
يحاكي غيوم السماء
ورعـــــدا يـــدوي
الصهيل ... الصهيل ... الصهيل

سليمان الفليح ــ الكويت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول

الركود الأدبي وضحايا الاعلام البدائي

العراقيون والمصريون والبحرانيون يشتكون من الركود والكويتيون ينكرونه

خليفة الوقيان

من اليسير على أي منا أن ينظر الى الواقع المحيط به نظرة غير مبالية ،تعتمد السلبية والاسترخاء. وتنأى عن اثارة الاخرين وتعكير صفوهم ، وتذكيرهم بما يحيط بواقعهم من قصور . ولكن ليس من اليسير على الكثيرين أن يلقوا — بين الحين والاخر — حجرا في بركة الركود والخمول .

فالكثيرون منا يؤمنون بمبدأ « ليس بالامكان أبدع مما كان » و « الدنيا بخير » . ولذا يصيبهم القلق والغضب حين يشذ أحدنا عن القاعدة ، ويقول « ان بالامكان أن يكون الواقع أبدع مما كان » . أو « ان الدنيا ليست بخير » . ذلك ان تسليمنا بفكرة « الدنيا بخير » يعني تعطيل الطموح ، وشل ارادة التغيير والتطوير ، والاستسلام للواقع بكل ما يكتنفه من قصور .

والكويتيون بخاصة يخضعون منذ حين لتوجيه اعلام بدائي ساذج ، تشكل الصحافة عموده الفقري. ويعتمد هذا الاعلام على الايهام بأن الكويت بلغت حد الكمال في كل مناحي الحياة ، فمستوى معيشة الفرد فيها يعد أرفع مستوى للمعيشة في العالم . والتجربة الديمقراطية الكويتية يمكن أن تكون نموذجا يحتذى ، والصحافة الكويتية لا مثيل لثراء ما تقدمه ، والمنشآت الكويتية ، مثل اجهزة تقطير المياه والموانيء والشوارع وأعمدة النور لا تضاهى .

وما دام الامر كذلك فليكن الادب أو الفكر الكويتي أيضا فكرا جبارا خلاقا ، لا يصح ان يعتريه الركود ، ولا يجوز أن يحيط به الوهن . ولا بأس في أن يكون لكل الحضارات دورة تاريخية ، يتأرجح فيها الخط البياني صعودا وانحدارا ، فيما عدا الحضارة الكويتية !! التي تستطيع أن تشتري منطق التاريخ ، وتبقي من ثم خطها البياني متجها نحو الارتفاع ابدا .

واذا ما شذ عن الايمان بهذه القاعدة نفر من المكابرين ، من بينهم خالد عبد الكريم وكاتب هذه السطور ، فان الغايات السامية لضحايا الاعلام البدائي تبرر لجوءهم الى استنكار وتشويه ما يقال ، حتى يتسنى للدنيا أن تبقى بخير .

لقد تحدثنا — خالد عبد الكريم وكاتب هذه السطور — عن موضوع « نضوب منابع الابداع الادبي في الكويت خلال السنوات العشر الماضية » ، وقلت منبها : « ان الامر اذا ما استمر على ما هو عليه فقد نشيع جثمان الادب في الكويت بعد خمس أو سبع سنوات » ، أي أن الحديث كان عن جزئية محددة تتصل بقضية تقديرية تحتمل اختلاف وجهات النظر حولها ، دون أن تؤدي الى اثارة الفزع . ومع هذا فقد جزع البعض ، وذهب بهم الخيال بعيدا ، ومنهم من لم يتورع عن تحريف الكلم عن مواضعه ، وصرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاني الى غير وجهها ، بل الى ضدها أحيانا .

والان يحق لنا أن نتساءل كيف يمكن أن يكون حال المتفائلين لو اننا عرضنا للقضايا الاكثر خطـــورة والحاحا . ماذا يكون ردهم لو قلنا ان المجتمع الكويتي يتعرض لاوبئة فتاكة تنخر احشاءه ، مثل الجريمـــة وارتفاع معدلاتها . والدعـــــــارة وتنوع أساليبها والقمار وانتشار موائده ، والمخدرات وتفشي تعاطيها، والانحلال واتساع رقعته ؟

ثم ما رأي المتفائلين لو تحدثنا عن مدن الصفيح التي أخذت تتخلق على حافات المدن العامرة ، حيـث تترعرع الجريمة ويتسع الانحلال في احضان المستقبل المجهول، أو لو اننا عرضنا لقصور كثير من التشريعات، وتخلف اساليب التربية ، وخيانة المثقفين ، وغير ذلك.

ان أقل ما يمكن أن نتهم به عندئذ هو اننا نتسبب في سرقة النوم من الاجفان الوسنى . وبذلك نضيـف الى جرائم الجنايات الـ ٢٠٠٨ أو الجنح الـ ٥٩٧٠ المسجلة في العام المنصرم رقما جديدا .

وحين تركنا هذه الاوبئة الفتاكة لذوي الاختصاص من الاجتماعيين والحقوقيين والتربويين والعاملين في الصحافة بخاصة ، لعلهم ينهضون لمعالجتها ، واتجهنا الى دوحة الادب لناقي في مستنقعاتها بعض الحصى ، التقينا هناك بنفر من المتفائلين الذين يعز عليهم أن يوصف واقع الادب في الكويت بالركود ، بله العقم .

ولم تكن آراء المتفائلين محزنة لنا ، فنحن نؤمن أن قولنا بنضوب الابداع ، واتجاه الادب في الكويت نحو الفناء ، ان بقيت الحال على ما هي عليه ، يحتمل وجهات النظر المتباينة . ولكن المثير حقا هو مبـــدأ تشويه ما يقال ، وقلب الحقائق الى ضدها ، ومن ثم الخروج بنتائج لا تنقصها السذاجة .

ولعل من العبث العـــودة الى تسجيل النص الحرفي لما قاله الزميل خالد وكاتب هذه الاحرف، ليدرك بعض من اشتركوا في الحوار حقيقة القضية التي كنـــا نعرضها ، وليكتشفوا من بعد ان ابسط قواعد الحوار تقتضي منهم الاطلاع على الآراء التي يريدون محاورتها ـــ وهي منشورة في اعداد مجلة الطليعة ـــ . مع عدم الاكتفاء بما ينقله لهم صحافي كسول همه أن يملأ صفحته بأيسر الوسائل .

لقد تولى محرر الصفحة الادبية في الطليعة نقـــل وجهة النظر بأمانة ، الامر الذي أثمر حوارا ناضجـــا ـــ في معظمه ـــ اشترك فيه كثير من الزملاء . حتى اذا ما انتقل الحوار الى احدى الصحف اليومية تطوع احد المتملقين من صحافييها بتحريف الموضوع . وعرضه بطريقة مشوهة فجة تخدم غرضه . وقد وقـــع المستجيبون لمحاورته في المصيدة .

فقد وضع ذلك الصحافي للحوار العنوان الاتي « ما رايكم بالنائحين على جثمان الادب الكويتي » . ومنذ البداية نرى أن العنوان يبتعد عن القضيـــة الاساسية المطروحة للحوار ويتجه الى الاشخاص .

والسائل بذلك لا يوجه اهتمامه الاول الى معرفة آراء ضيوفه عن فكرة احتمال موت الادب ، ولكنه يريد معرفة الراي بالنائحين ، وهم على وجه التحديد خالد والفقير لله . ثم يوجه الاسئلة بأسلوب غريب ، يبدو انه يخفي وراءه بعض الاغراض ، وقد تعمد أن يبـــدأ الحوار بمثل هذه المقدمة :

« علامات استفهام كثيرة تطرح نفسها بالحـــاح أمام الموقف الذي اتخذه ويتخذه المزايدون على الادب الكويتي والنائحون على جثمانه .. هل هناك أزمة فكر فعلا تستدعي حزن المحزونين وبكاء النائحين الذيـــن جهزوا انفسهم بالنظارات السوداء ، بعد أن خلفـــوا وراءهم أزمة مناديل في الاسواق التجارية ؟ » .

ويقول في مقدمة اخرى :

« ان مركب الفكر والثقافة بين المـــد والجزر . تمسك بمقدمته الايدي المتفائلة والايجابية . وتمســـك بمؤخرته الايدي النائحة والسلبية » .

وهذه الكلمات تعد سؤالا ، وتشكل في الوقـــت ذاته موقفا ، وعلى الرغم من اننا لا ننكر حق السائل في ان يدلي برأيه ، الا انه لم يحسن التوقيت . وكان عليه ان يطرح القضية بتجرد وأمانة ، ويختار لآرائه مكانا وزمانا مغايرين .

اما الجانب المهم فهو ان الصحافي الذكي ابتكـــر مفهوما جديدا للسلبية ، وقدم من نفسه نموذجا فـــذا لايمكن أن يصل اليه الانحراف في الفهم ، والتبلد فـــي التصور . فالذين ينبهون الى المشكلات ، ويلحون على ضرورة معالجتها هم السلبيون ، والذين يرقدون في انتظار وصول الاجوبة عن الاسئلة التي يطرحونها ، والذين لايكلفون انفسهم مشقـــــة فهم ما يقال هـــم الايجابيون .

اذن فليكن التشويه هكذا والا فلا !! .

وتبقى ملاحظة اخيرة حول مقدمة الصحافي ،وهي انه كان عليه ان يجنب نفسه وصحيفته اللجوء الـــى استخدام العبارات السخيفة ، التي لاتخدم القضيـــة الاساسية ، في الوقت الذي تعرضه لاحتمالات الردع والزجر الشديدين ، من قبل من تمسهم عباراته . فمـــا مبرر القول أن النائحين ـــ اي نحن ـــ خلقوا ازمـــة مناديل ، وأنهم مزايدون؟ ثم اين وجه المزايدة ونحن نلوم انفسنا والجيل الذي ننتمي اليه بقسوة ؟ بل ما مفهوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المزايدة لدى هذا الرجل ، وما صلته بالادب في الكويت ، وما الذي يعرفه عنه ؟ .

اما الضيوف الذين اشتركوا في الحوار معه ، فقد كان عليهم أن لا يقعوا في مصيدة محترفي التملق . بل كان ينبغي أن يتابعوا ما نشر حول الموضوع منذ أواخر شهر آذار ١٩٧٥ . حتى تكون الصورة واضحة لديهم .

وفيما يتعلق بالشطحات التي ذهبت ببعض المشتركين في الحوار بعيدا فان الحديث حولها يطول . ونرجو أن نتمكن من العودة اليه في فرصة اخرى . ويكفي أن نشير الى ان بعضهم ذهبوا بعيدا في امتداح صحافة اليوم وأجهزة الاعلام الاخرى، وأشادوا بدورها الوهمي في حركة الادب .

وقبل أن نختتم هذه الكلمة يحسن أن نضع أمام المتفائلين في الكويت نموذجين لما قاله أديب عراقي وآخر بحراني عن واقع الركود في العراق والبحرين حتى يكونوا أكثر تواضعا وواقعية في تصور حجم العطاء الكويتي ، ومعنى الازدهار الفكري الذي يزعمون وجوده في الكويت .

يقول الاستاذ ماجد السامرائي من كلمة له نشرت في مجلة الف باء العراقية الصادرة بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢ :

« هل يجيء الحكم قاسيا ان قلنا ان واقعنا الثقافي الراهن محكوم بالركود الذي يصل حد العقم والجفاف في اكثر من مجال ؟ فهذا الواقع رغم كونه يحفل بأسماء كثيرة بعضها يكابر على لا شيء ، ورغم أن سوق الكتب لا تخلو اسبوعيا من كتاب جديد ، ورغم أن المجلات تصدر في مواعيدها في الغالب ، ورغم أن اتحاد الادباء يقيم امسياته الاسبوعية، وكذلك اتحاد المؤلفين ، رغم أن المقاهي تمتلىء بروادها من الادباء ، رغم كل هذا ، ورغم «مرغمات» أخرى ، فان هذا الواقع الثقافي الذي نعيشه اليوم هو واقع راكد الى حد أن تبلغ فيه التجارب درجة تصبح فيها آسنة ، ويبلغ الابداع مبلغ أن يكون مجرد اسم لمسمى لا يلتقي بدلالته الواقعية » .

ويقول الشاعر البحراني قاسم حداد من مقالة له نشرت في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ الكويتية ـ الصادرة في أول تموز ١٩٧٥ :

« وقبل اسابيع قليلة ودعت أسرة الادباء والكتاب عامها الخامس في جو تشحنه الاسئلة عن غياب نشاط الاسرة الذي تعودنا عليه ، حيث أن انحسارا ملحوظا تعيشه الاسرة « هكذا » . فلم يعد وجودها متحركا كالسابق . لقد بدأ هذا الانحسار منذ حوالي العامين : ندرت الندوات الجادة التي كان الجمهور يلتف حولها ... وفي مجال النشر فان ما ينشر في الصحف والجرائد قد اتصف غالبا بالارتجال والهزال الفني ، مع غياب الانتاج الجيد الذي ساد المجال الادبي قبل ذلك » .

اما شكوى الاخوة في مصر من ظاهرة الركود في العطاء الجاد فلا نحسب انها تحتاج الى دليل مماثل .

ومن العجب أن يعترف الاخوة العراقيون ـ وبكل تواضع ـ بظاهرة الركود ، بل العقم في وقت تقذف فيه مطابعهم ـ وبلا هوادة ـ سيلا من المؤلفات الابداعية الجديدة ، والدوريات الكثيرة الزاخرة بالعطاء الجيد ، وتزخر المحافل الادبية بالنشاط الدائب ، وفي الوقت الذي يعترف فيه العراقيون والبحرانيون والمصريون وغيرهم بالركود والجفاف في العراق والبحرين ومصر وغيرها يصر الكويتيون ـ وحدهم ـ على القول بأنهم يعيشون عصر الازدهار الادبي والفكري .

وبعد ، فهل نضيف الى ما تقدم أن البلدان الاوروبية ايضا تشكو من هذا الركود في الابداع الادبي ؟ يشهد بذلك اخيرا ، وعلى سبيل المثال ، نقد لاذع ورد في المجلة الادبية الفرنسية الرصينة « ماغازين ليتريير » ـ العدد (١٠٢) أغسطس ١٩٧٥ ، صفحة ٥٢ ـ في معرض التعليق على كتاب جديد للكاتب الالماني « هنريك بول » ، فقد اشار الناقد ، بصراحة ووضوح الى انحسار الابداع الادبي في المانيا .. الواقعة حاليا وكليا تحت تأثير الموجة المادية الكاسحة التي باتت تلف في طياتها مزيدا من الشعوب ، وهكذا ، فلا أمل الان ـ كما يقول الناقد ـ في انبعاث شخصيات كتوماس مان ، أو برتولت بريخت ، أو هرمان هيس . بل ان بريق كاتب قدير وشهير مثل « جونتر جراس » لم يلبث أن خبا ، ليخبو معه الامل في عودة الابداع الفكري الذي كان يبشر به انتاجه السابق (١) ..

اذن هل نكون ملومين ان عدنا الى توكيد ما جاء في مقدمة هذه الكلمة حول خضوع الكويتيين لتوجيه اعلام بدائي ساذج ما فتيء يوهمهم بأنهم اكبر بكثير من حجمهم الطبيعي ، وأن الفكر الكويتي ! لا يصح أن يعتريه الوهن مهما تكن الاسباب ؟

خليفة الوقيان

---

(١) ما جاء في هذه الفقرة نقلا عن (ماغازين ليتريير) ترجمة الاستاذ عصام عسيران .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدخل لدراسة

الحياة الأدبية في قلب الجزيرة العربية

في مراحل الاضطراب السياسي وظهور الدول المتتابعة

الحلقة الأولى

بقلم : ابراهيم عبدالله غلوم



ARCHIVE

تمهيد

في هذه الدراسة المتواضعة سنحاول ان نضع بأيدينا على الاوجه المختلفة للحياة الادبية في قلب الجزيرة العربية في فترة اعتبرها من اكثر فترات تاريخها تأثيرا في تكوين المملكة العربية السعودية الحديثة ، وهي التي تمتد من اواخر الدولة العباسية وبدء ظهور الدول المتتابعة حتى اواخر القرن التاسع عشر ...

وهذه الفترة طويلة في امتدادها الزمني ، ومجال البحث في حياتها الادبية صعب وعسير لاسباب كثيرة لعل من اهمها ، اغضاء الكتاب المحدثين عن دراستها حيث انهم يجعلون في العصر العباسي الثاني نفسهم الاخير الذي يمكن ان يصلوا به في صدد التأريخ للادب العربي ؛ وسبب اخر يتصل بطبيعة البلاد نفسها ، الا وهو تجزئة الجزيرة العربية الى عدة اقاليم شاسعة لها طبيعتها وظروفها الخاصة ، مما يجعلها بهذه المثابة مبعثا لحيرة الدارس والمؤرخ عندما يريد دراسة الادب في قلب الجزيرة العربية ، فهناك اقليم الاحساء واقليم نجد واقليم الحجاز وعسير ... ويكاد كل واحد من هذه الاقاليم ان يكون مستقلا بذاته في تاريخه السياسي والفكري ...

فالحجاز واجهت في حياتها السياسية طائفة من الحكومات المختلفة التي تعاقبت عليها بالتوالي حبا في بسط سيادتها وتطلعا للحفاظ عليها وذلك لما للحجاز من مكانة دينية وسياسية واقتصادية الامر الذي لفت اهتمام ملوك الدول المتتابعة اليها ، وكان الحفاظ على الاماكن المقدسة في مكة والمدينة هو دعوى الملوك والسلاطين في محاولتهم لبسط النفوذ والاستيلاء على الحجاز وقد تحقق ذلك للزنكيين والايوبيين والمماليك والفاطميين وحاولوا في ظل الظروف السياسية المضطربة ان يتسعوا بهذا الاقليم ويعملوا على تنشئته ... كذلك اتيح لثورة القرامطة ان تمتد بتحركها الى الحجاز وتترك منها اثارا ... اما الاشراف الحسينيون فقد كان لهم أثر كبير في التطور السياسي لاقليم الحجاز وان ارتبط هذا الاثر « بالسراي » او بالسلطة العثمانية.

اما نجد فقد كانت منتجعا للقبائل العربية الامر الذي جعلها ابان الحكم الاموي والعباسي والحكومات التي جاءت بعد ذلك خاملة الذكر في حياتها السياسية ، ولم تشهد ما شهدته الحجاز والاحساء من تطورات الى ان جاء سعود بن محمد بن مقرن فاستطاع ان يثبت امارته في الدرعية وما جاورها فكان بذلك مؤسس الحكم السعودي .

ولقد شهدت منطقة الاحساء على امتداد حياتها حوادث كثيرة ، وظهرت فيها حركات سياسية واصلاحية مختلفة كان معظمها صدى ورجيعا لحركات اخرى كانت تقوم في الساحل الفارسي وفي العراق ، وقد كان الاضطراب السياسي الذي عاشته هذه المنطقة لا يقل عما عاشته الحجاز وخاصة في الفترة التي نعنى بالبحث عن حياتها الادبية ، فقد توالى على منطقة الاحساء نزوح متتابع لحركات التمرد السياسي والديني لا يكاد يخفت ابدا من شمالها وشرقها منذ ظهور الاسلام حتى جاء ال سعود .

وكانت الصلة وثيقة بين هذه المنطقة والحياة السياسية في العراق ، فصاحب الزنج قدم اليها من سامراء واخذ يبث دعوته فيها والقرامطة ايضا جاؤوا بحركتهم المنبثقة من الاسماعيلية فكان لهم اثر كبير في الحياة العقلية في هذه المنطقة بما استحدثوه من انظمة غريبة على المجتمع الاسلامي في ذلك العهد ، وما ان ضعف امرهم حتى كثرت الحركات الانفصالية والثورات الصغيرة التي اشاعت اضطرابا غامضا في حياة الناس ، وكان اشهر من تحفز لسيادة هذه المنطقة عبدالله العيوني مؤسس الدولة العيونية ... ثم جاء بنو مصفور وبنو جبر وخلال القرن العاشر الهجري جاء البرتغاليون واثاروا الرعب في هذه المنطقة وسيطروا على اقتصاديات البلاد وزحفوا على جميع شواطىء المنطقة وازدادت حدة الاضطراب السياسي بعد ان جاء الاتراك وظلت كذلك حتى ضمها الى سعود في حوزتهم ، وقد كان لكل ذلك اثار كبيرة في حياة الناس وفي عقولهم وفي مناحيهم الاجتماعية والفكرية والادبية .

ونستطيع ان نجمل المظاهر الدينية والاخلاقية في بلاد جزيرة العرب فيما يمكن ان نجده في النسق الديني والاخلاقي ... فالديانات والعقائد لها مكانتها الكبيرة في حياة الامم والجماعات الانسانية منذ القدم ، وهي لها مكانتها الخاصة في جزيرة العرب لانها مهبط الديانة الاسلامية من جهة ولان فيها الحرمين الشريفين وكعبة الناس قاطبة من جهة اخرى ، لذلك برز المظهر الديني بقوة واتضح السلوك الاخلاقي بصورة مشربة بمظاهر الدين الاسلامي .

ولقد تباينت المظاهر الدينية في قلب الجزيرة العربية ، ونرى ذلك واضحا في اصطراع الطائفتين الكبيرتين « السنة » و « الشيعة » ثم وجود المذاهب السنية الاربعة والمذاهب الشيعية المختلفة في تطرفها ، ثم في وجود اتجاه اخر تخلل كل ذلك الا وهو الاتجاه الصوفي ثم في ظهور دعوة اخرى اثرها الكبير في مختلف جوانب الحياة وهي الدعوة الوهابية .

وقد ظلت الجزيرة العربية اكثر البيئات الاسلامية محافظة على مظاهر الدين الاسلامي وتمسكا باخلاقياته، حتى برزت على سطح الحياة الدينية مظاهر التزمت والشعوذة فكان لذلك ردود فعل عنيفة بعض الشيء اتضحت في اتجاهين متعاكسين .. الاول اتجاه اصلاحي — الدعوة الوهابية — والثاني اتجاه اباحي وجدناه في لهو ومجون بعض الامراء والاعيان والشعراء في الحجاز والاحساء .

اما المظاهر الاجتماعية فقد تشكلت وفق التكوينات الفئوية والطبقية السائدة في ذلك العصر ويمكن لنا ان نقسم مجتمع الجزيرة العربية الى اربع فئات تكون في مجملها نظاما طبقيا خاصا يشتمل على ما يشتمل من طوائف المجتمع : —

الاولى : الطبقة الحاكمة .

الثانية : طبقة الملاك واهل اليسار وذوي الجاه .

الثالثة : الطبقة المتوسطة .

الرابعة : الطبقة المتدنية من ذوي الحاجة والمسكنة .

وربما اتسعت وتنامت احدى هذه الطوائف في بيئة وقلت او عدمت في بيئة اخرى فمثلا كثر التجار في الحجاز وفي الاحساء الى حد ما بينما قلوا في نجد .. والبدو والرعاة كثروا في نجد وقلوا في غيرها ... وهكذا

وعلى الرغم من وجود الروح الاسلامية الا ان هذا النظام الطبقي المجحف كان مسيطرا على الحياة الاجتماعية الامر الذي اوغر في الصدور واوجد النظرة الحقيرة ممن هم اعلى لمن هم ادنى ، وبعث على استغلال بعض الطوائف المغلوبة على امرها لا لشيء سوى سذاجتها وبساطتها المعهودتين كما حدث للبدو الاعراب حين استغلتهم حركة القرامطة في نشر دعوتهم، وكما حدث لهم مرة اخرى من قبل الاشراف الحسينيين ، ومن قبل ال سعود ابان تثبيت دعائم حكمهم.

١ — الجو الفكري والعقلي في قلب الجزيرة العربية

شهد العالم الاسلامي خلال القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادية نوعا من الاسترخاء الفكري والعقلي الذي اثر في مسيرة نهضتها تاثيرا كبيرا .. في الوقت الذي انطلقت فيه بواعث الاضطراب السياسي بتناحر الحكومات المختلفة . واتسعت اسباب الصراع الضاري بين المسلم واخيه المسلم وبين المسلم والهجمة التترية المغيرة وبين المسلم والعدوان الصليبي الغاشم .. هذا الصراع بكل خيوطه المتشابكة والمعقدة هو الذي وضع الغشاوة التي ضاعت ازاءها ملامح الشخصية العربية وخصائصها الفكرية العامة .

واذا كانت بعض البيئات العربية قد شهدت فيما

بعد تفتحا عقليا وازدهارا فكريا بفضل تشجيع الامراء الذين عرفوا بميلهم للعلم وحبهم للادب .. وبفضل ما احرزته الطاقة العربية من انتصارات عظيمة اشبه ما تكون بالملاحم الخالدة .. وبفضل انفتاح العقلية العربية والتحامها بالعقليات الاخرى التي عرفت بحضارتها .. اقول اذا كانت بعض البيئات العربية كذلك فان الجزيرة العربية لم تشهد ما شهدته تلك البيئات لعدة عوامل اهمها ..

ـ ان الاحداث الكبرى واحرازات النصر العظيمة وجل قضايا العالم الاسلامي المهمة انتقلت الى الشام ومصر ، الامر الذي فرض نوعا من العزلة التاريخية للجزيرة العربية حيث لم يلتفت اليها ولم تقطع لها تلك الاهمية اللهم لولا وجود الحرمين الشريفين في الحجاز .

ـ ان الاضطرابات السياسية لم تهدأ سورتها في قلب الجزيرة العربية بل انها كانت اشد من اي بيئة اسلامية اخرى وذلك لتشعبه وحدته وتعدد ابعاد الصراع فيه .

ـ ان العزلة التاريخية والاضطرابات السياسية من شانهما ان يضربا جدارا هائلا على تفكير الانسان وعقليته فيجعلانه في تتوقع مستمر يمنعه من التفتح والانطلاق بالاضافة الى ان الجزيرة العربية بيئة محافظة .. بل انها عرفت بالمحافظة الشديدة التي تصل الى درجة التزمت المشين .

هذه العوامل كانت السبب الرئيسي في ان الجزيرة العربية لم تعرف ما عرفته البيئات العربية الاخرى من الازدهار الفكري والنهضة العلمية .. ونحن نقول ذلك في الوقت الذي لا نعني فيه بان حياتها الفكرية والعقلية كانت قفرا خالصا لا مجال فيها لنفثات الوجدان وعطاء الادمغة واسترسال الاقلام العربية . ولكن نقول ذلك تحديدا لطبيعة الجو الفكري العام كي نستطيع ان نفرق بين ادب وفكر هذه الفترة وبين ادب وفكر فترات سابقة عاشت من الازدهار الادبي والعلمي ما لم تعشه الاقطار العربية بعد ان دخلها الفتح الاسلامي .. وايضا لكي نكشف النقاب عن طبيعة الدور الحقيقي الذي لعبه ادب قلب الجزيرة العربية في ادب النهضة العربية ان كان لها دور في مثل ذلك ؟ .

والخلاصة ان الحركة الفكرية والعقلية في الفترة ما بين القرن العاشر والقرن التاسع عشر الميلاديين ، لم تكن ذات مظهر مستمر ودائم يعطي صورة حقيقية ومتكاملة بسهولة ويسر . فهي تارة تلمحها متعثرة باهتة وتارة تلمح فيها اشراقا وضياء ، كما ان مجالات ونواحي الفكر لم تكن متسعة ومتعددة .. اي اننا لا نجد في هذه الفترة شمولا في استيعاب جوانب الفكر .. لان بعض هذه الجوانب تكاد تكون منعدمة وبعضها يصل فيها النشاط الى حد كبير .

ثم ان التعثر الذي قد نراه في حياة الفكر قد لا يكون في مستوى درجات الانحطاط والاسفاف ، كما ان الضوء الذي قد نراه ايضا .. قد لا يكون من القوة والاشراق بحيث يستمر في ضيائه واشعاعه .. ذلك لانه لا يكاد ينبعث ويأخذ دورته .. حتى يخفت ويخفت الى ان يذهب .. فهو بذلك اشبه ما يكون بالشرارة .

وقليلا ما وجدنا نقطة او مركزا من مراكز الضوء الفكري اتخذت لها انحدارا متسلسلا يمكن الباحث من رؤيته وكشفه وتصنيفه الى مراحل زمنية .. ولعل هذا يدل دلالة واضحة على ان الحياة الادبية والفكرية قد عكست بوضوح اضطراب هذا العصر وتخلخله .

٢ ـ الحجاز .. طليعة النهضة الادبية والفكرية

بعد ان عرفنا طبيعة النشاط الفكري في هذا العصر يمكننا ان نقول : ان هذا النشاط الذي لحظناه طبيعته العامة قد تفاوت مستواه من حيث القوة والضعف من اقليم الى اخر .. وهذا ما يشعرنا بانه لم يكن هناك توحد في الحياة الفكرية وانسجام في نشاطاتها رغم ان هذه الاقاليم متصلة بعضها ببعض اتصالا وثيقا يسهل عملية التفاعل في جميع نظم الحياة .. ولكن يبدو ان اضطراب العصر هو الذي فك هذا الاتصال وفرض هذا التباعد .

على انه ليس من العسير على الباحث ان يكتشف بأن الحجاز كانت المركز الاول للحياة الفكرية في قلب الجزيرة العربية .. وقد توفرت لها عوامل جعلتها تضطلع بدور طليعي في هذا المجال اهمها : ـ

ـ المكانة الدينية والروحية التي تمتعت بها في ظل الحرمين الشريفين مما جعلها مكانا يلتقي فيه المسلمون ليس في موسم الحج فقط بل على امتداد العام الواحد وهذا ما جعل منها بيئة متفتحة تفاعلت فيها عناصر التاثر والتاثير بشكل كبير .

ـ اتصالها بمصر والبيئات العربية التي كانت تعيش ازدهارا فكريا .. اتاح لها فرصة التعرف على النواحي الثقافية والادبية وعلى ان تحذو حذوها في هذا المجال ، وكان هذا الاتصال يزداد قوة كلما ازداد اهتمام ملوك الدول بالحجاز ، حيث تكثر زيارات العلماء لها وتكثر رحلات طلاب العلم الذين كانوا يجوبون بلاد الشام ومصر .

ـ وللمسجد الحرام دور كبير في تبوء الحجاز مكانها الطليعي في النهضة الفكرية فلقد كانت تؤمه العلماء ومشايخ الاسلام من الشرق والغرب وكانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعقد فيه حلقات الدرس المختلفة وكان الطلاب ينهلون منه ثم لا يلبثون ان ياخذوا مكانهم فيه للتدريس .

ـــ ولقد ادى اهتمام ملوك الطوائف التي تتابع نفوذها على الحجاز الى انشاء المدارس الكثيرة رغبة منهم في الاصلاح ونشر العلم وتيسيره على الناس ، وهذا ما جعل الحجاز تمتاز بكثرة مدارس العلم فيها .

هذه اهم العوامل التي جعلت الحجاز اكثر تقدما وازدهارا من الاقاليم الاخرى في قلب الجزيرة العربية التي لم يكن لها دور هام في حياة الفكر والادب بل ان بعضها لم يكن شيئا مذكورا امام الدور الذي لعبته الحجاز باستثناء اقليم الاحساء الذي اسهم بنصيب وافر في حركة النهضة في قلب الجزيرة العربية .. وقد كان اتصاله بالعراق من جهة وبمكة من جهة اخرى من اهم العوامل التي بعثت فيها الحركة الفكرية .

وكان الاتجاه المحافظ هو الاتجاه السائد على جميع الوان الفكر والثقافة مما اتاح لعلوم الدين والدراسات الاسلامية ان تبرز بروزا واضحا وتؤثر تاثرا كبير في الحياة الادبية ففي الحجاز وفي الاحساء طائفة كبيرة من العلماء والمشايخ الذين اهتموا بالقران الكريم والحديث الشريف والفقه الاسلامي فراحوا يستفون التصانيف الكثيرة حولها ويشرحون الشروح وشرح الشروح .. خاصة ان الامراء وسلاطين الدول كانوا من اكثر المشجعين على مثل ذلك وبالاخص سلاطين الدولة المملوكية .

كذلك نشطت علوم الادب واللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وكذلك العلوم التاريخية والاجتماعية وان كان نشاط الثانية بسيطا اذا ما قيس بغيرها .. اما العلوم العقلية والفلسفية فلم يكن لها ذلك الاهتمام كما لم يكن لها ذلك الازدهار في سائر البيئات العربية .. لذلك نجد علماء الجزيرة العربية لم يتخصصوا فيها ولم يدرسوها اللهم الا في القليل النادر .

★ ★ ★

الحياة الادبيـــة

يسترعي انتباهنا حين نبحث عن مظاهر الحياة الادبية في قلب الجزيرة العربية امران اثنان نعتبرهما من المداخل الاساسية في دراسة تلك الحياة الادبية :

الاول ... عدم ارتباط التسلسل الزمني بعصب الحياة الادبية .. وبمعنى اوضح ان ادب هذه الفترة لم تكن تشكله حلقات مترابطة تؤدي كل واحدة الى الاخرى ، فلم نشهد مدارس ادبية امتد اثرها زمنا طويلا في اوساط الادب وتناقلها الادباء تلميذا عن استاذ كما يحدث في البيئات المزدهرة بالادب ، وان كان هذا لا ينفي وجود ادباء كانت شخصيتهم الادبية الفذة ان تخلق مدرسة ادبية لها طابعها الخاص .

الثاني ... الاتجاه نحو التقليد والمحافظة في جميع فنون الادب من شعر ونثر وعدم وجود اتجاهات وحركات اخرى تنحو التجديد والابتكار ـــ اللهم الا نادرا ـــ وهذا مما فرض على الادب نوعا من الهيمنة التقليدية التي وصلت الى حد الاختناق في بعض الاحيان ، اذ لا مجال للتجديد ابدا ولا سبيل للخروج عن اطار التقليد .

وهاتان الظاهرتان علامة من علامات الضعف والانحدار في ادب هذا العصر لم يخلقهما الا عدم الاستقرار واضطراب الحياة السياسية ، وهو ما تبين لنا منذ بداية البحث .. لان هذا الاضطراب تعمق في حياة هذا العصر واثر فيه تاثيره البالغ الى الحد الذي ضعفت معه الشخصية العربية ولم تملك القدرة على الاستقلال والتحرك الذاتي الخلاق .

وقد كان من الممكن لحركة ثورية مثل حركة القرامطة في شرقي الجزيرة العربية ان تفعل فعلها المجيب في تحريك هذا الجمود ، ودفع الجو الفكري العام للافلات من قيد الزمن المتوقف ، اذ انها بما استحدثته من تنظيمات وتغييرات ثورية خاصة بالنسق الاجتماعي القرمطي والنظام الاقتصادي ، يمكن ان تخلق تيارا جديدا يتخلل الانظمة التقليدية السائدة بحيث يمكن ان يدخل في بنائية الانسان وتركيبه الكياني ، حتى يتمكن بتلقائية وعفوية من ان ينبعث ويتشكل مرة اخرى تعبيرا وخلقا .. وابداعا .

ولكن هناك عدة عوامل حالت دون ذلك ... اهمها ..

ـــ غموض الحركة القرمطية ، وما جاءت به من دعوات تنظيمية جديدة ، رغم انها تلتقي في كثير من شئونها مع حركة الخوارج التي ظهرت في صدر الاسلام .

ـــ استخدام وسائل العنف في نشر الدعوة ، والافراط في ذلك ، ابعد عنها خلقا كثيرا ، رغم التطبيقات والانجازات الشعبية التي يمكن ان تحققها ، من طريق الغائها للرق والاقطاع ، وتوزيعها للاراضي ، وتشجيع الصناعة ، وسيطرة الدولة على التجارة ، والتشكيل الجمهوري لنظام الحكم ، الى غير ذلك من الامور المستحدثة .

ـــ ان الدعوة القرمطية لم تنبع من المجتمع العربي في الجزيرة العربية ، وانما هي حركة زاحفة ، او هي رجيع ثوري لما تضطرب به بلاد فارس والعراق .

ـــ مناواة الانظمة العربية في الاقطار الاسلامية للقرامطة ساعد على اجهاضها قبل ان تغرس جذورها ، وتؤثر تاثيرها العميق في حياة الناس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ ان حركة القرامطة لم يقدر لها ان تظهـــر ظهورها القوي في فترة من فترات الازدهار الادبي في الجزيرة العربية .

ونتيجة لكل هذه العوامل لم يؤثر للقرامطة ادب له ملامحه المميزة واتجاهه الثوري الخاص ، الـــذي اتسمت به الدعوة نفسها ، بحيث يمكن ان يتخلل الاتجاه التقليدي المهيمن ، وكل ما اثر عن القرامطة من اشعار وخطب لا يعطي صورة متكاملة لظهور ادب قرمطي في شرقي الجزيرة العربية .

وسنحاول فيما سيأتي ان نعطي صورة متكاملة لاهم العوامل التي اثرت في ادب قلب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن العاشر والتاسع عشر ، وهذه العوامل تمثل في حقيقة الوجه العام لواقع الحيـــاة الادبية .

وعلى الرغم من طول تلك الفترة وامتدادها الزمني وتتابع الظروف والتطورات عليها .. الا انها لم تشهد ذلك المعترك الادبي والفكري الزاخر الذي من شأنه ان يتحرك ويموج بمختلف التيارات وهذا مما جعلنا لا نهتم بقضية التقسيم الزمني الا فيما يتصل بالتحديد العام لمسار البحث .

★ ★ ★

(الحرمان الشريفان)

لعلنا لا نبالغ ان قلنا بانه لولا الدور الذي لعبه وجود الحرمين الشريفين في القطر الحجازي لما كان لادب قلب الجزيرة العربية في هذا العصر شأن يذكر بل لما كان لحياته هذا الاثر الذي نراه الان .. وهذا ليس بالامـــر الغريب ، ذلك لان المكانة الروحية الكبيرة التي يحملهـــا ابناء العالم الاسلامي لهذه الاماكن المقدسة تفعل فعلها العجيب في جذب النفس المبرحة بحب الله ، المشتاقة لكل ذكر ، ولكل رائحة زكية مبعثها هذا المكان الطاهر. من اجل ذلك ظل المسلمون في ارجاء الارض يشـــدون الرحال الى هذين الحرمين:امراء واعيانا وعلماء ومشايخ ورجال فكر وانانسا من جميع فئات المجتمع الاسلامي .

ولا يكاد العالم من هؤلاء يضع رجله الا تتجه اليه الانظار وتصيخ له الاسماع فتكون حلقات الـــدرس في كل جانب من جنبات هذا المكان الطاهر ، فقد كان للناس شغف شديد بهذه الحلقات وذلك حبا منهم للعلم والادب، ومعظم علماء وادباء قلب الجزيرة العربية تعلموا ونهلوا من هؤلاء الوافدين الى الحرمين الشريفين .

وكانت البيوت التي عرفت بالعلم والادب تحرص على ملازمة ابنائها للمسجد الحرام حيث تنتجع من بـــين جنباته احلى واحسن ما تجود به قرائح العلماء الوافدين وغير الوافدين .

وهذا ما جعل من المسجد الحرام جامعة علميـــة كبيرة تستقبل الطلاب من كل جهات الجزيرة العربية ، فمن كان في الاحساء وفي نجد نراه يرسل ابناءه الى مكة المكرمة ليأخذوا حظهم من العلم والادب . كذلك من كان في اليمن والبلاد العربية الاخرى .

وعلى ذلك فقد قام المسجد الحرام بدور كبير في الحياة العلمية والادبية يضاهي دور الازهر الشريف في مصر وربما يفوق النجف الاشرف في العراق والمسجـــد الاموي في دمشق .

وقد تصدر للتدريس الكثير من العلماء والادبـــاء نذكر منهم .. العالم الفاضل والاديب البارع عبد الرحمن بن عيسى المرشدي والاديب الخطيب تاج الدين بن احمد المالكي والشيخ الامام علي بن جار الله بن ظهيرة الذي تتلمذ على يده الكثير من علماء عصره ، والعالم الاديب الشاعر عبد الله بن سعيد بن عبد الله باقشير الـــذي وصل الى مرتبة ادبية كبيرة بـــين اهل عصره وانتفـــع به خلق كثير من مكة واليمن والشام والعراق ، ويقول ابن معصوم صاحب سلافة العصر انه رآه اكثر من مرة بالمسجد الحرام في حلقة درسه وتداصفت الاسماع اليه؛ والشيخ العالم الاديب عبد الملك بن حسين العصامـــي الذي اشتغل بجميع الفنون وبحث في منطوقها ومفهومها ويوجد غير هؤلاء كثير مما يضيق المجال في ذكرهـــم .

وكانت الدروس التي تعقد مختلفـــة كالروضة الغناء .. هذا في الفقه وذاك في الحديث وذاك فـــي الادب واللغة واخر في المنطق ، وكان الطلاب يحرصون على ان يرفدوا من جميع هذه المناهل دون ان يختصوا بجانب منها على الاخر ، وهم في ذلك ينحون نفس المنحى الذي كان يسلكه العلماء القدماء في نظرتهم للعلم بصورة شمولية لا سبيل فيها للتخصص في اي فن من الفنـــون او في اي علم من العلوم ، لذلك وجدنا ادباء قلب الجزيرة العربية في هذه الفترة يكتبون الشعـــر والنثر ويعنون بشئون الدين واللغة والمنطق حتى ليصل احدهم الـــى درجة الامامة في المسجد الحرام والى درجة القضاء او الى درجة الافتاء كما حدث مع العالم الاديب عبد الرحمن المرشدي وابنه حنيف الدين .

هكذا كانت الحياة الادبية ، مختلطة بمظاهر العلم والفكر اختلاطا كبيرا ، وهذه ظاهرة رغم ان كثيرا من الباحثين يميلون اليها ويستسيغونها الا انها في كثير من الاحيان نجدها تقيد بعض جوانب الفكر ونواحي الثقافة مهما كان رقي البيئة التي تظهر فيها .

لذلك وجدنا في ادب هذا العصر الذي نتحدث عنه نوعا من الانحسارية لبعض العلوم والفنـــون بسبب تشربها وامتزاجها بالعلوم الاخرى ، بل ان هذه العلوم كثيرا ما صرفت الادباء عن كتابة الادب وشغلت جهدهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه . فهذا المرشدي يقول عن نفسه بأنه كان في ايام شبابه متعلقا باهداب الشعر يكتب فيه القصائدوالمقاطيع والمراسلات المنظومة والاخوانيات والمداعبات والالغاز والمعميات والمعارضات والمدائح ولكن اشتغاله بعلوم الدين والفتوى صرفه عن هذا النشاط الذي كان يقوم به .

بيوت العلم والادب

ونقصد بهذه البيوت جميع الوسائل التي عن طريقها يمكن للادب ان ينتشر ويزدهر وتتكون له ارضية خصبة قابلة للنماء والعطاء ، فبدون هذه الارضية وبدون هذه القابلية لا يمكن لاي ادب ان يتنفس انفاسه ويبعث خيوطه في ارجاء وجوده مهما كانت حدود هذه الارجاء .

وفي قلب الجزيرة العربية اختلفت الوسائل في نشر وتعليم الادب والفكر وبالتالي اختلفت طبيعة هذا الادب واصطبغت بصبغتها الخاصة .

فهناك دور المساجد ، وقد تحدثنا عن دور الحرمين الشريفين في الحياة الادبية وهناك دور العلم والمدارس المختلفة ، بعضها كان يتخذ له طابعا بدائيا وبعضها الاخر يتخذ له طريقا نظاميا بعض الشيء ، وقد اهتم الزنكيون والايوبيون والمملوكيون بانشاء المدارس في حواضرهم ابان نهوض حكوماتهم وامتد هذا الاهتمام الى القطر الحجازي فانشاوا فيه مختلف المدارس .

وعندما جاء العثمانيون اهتموا بنشر العلم والادب، وفعلا انشاوا المدارس ، ولكن اهتمامهم هذا لم يكن خالصا لوجه الله ، لانهم اتجهوا في ذلك الى تعميق القومية التركية فجعلوا التدريس باللغة التركية فقط .

وكانت معظم المدارس في مكة وفي المدينة ، فهناك مدرسة المرحوم محمد باشا والمدرسة السليمانية الحنفية وغيرها من المدارس .. وكان اساتذتها من كبار العلماء والادباء أمثال المرشدي والعصامي وعبد الله بافقيه وغيرهم .

وقد هنأ الاديب محمد بن الخليل الاحسائي المكي عبد الرحمن المرشدي عندما عين في المدرسة السليمانية بقوله :

لقد سرني ما قد سمعت فهزني
بلذته هز المدام فاسكرا
وذلك لما ان غدا الحق راجعا
لاهليه من بعد الضلال مكبرا
فدونكها مفتي الانام حقيقة
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وكان يدرس في مثل هذه المدارس صحيح البخاري ومسلم وروائع الادب القديم وكان لاهتمامها بعلوم الدين من فقه وحديث وتفسير اثره في توجيه الادب وجهة محافظة الى ابعد حدود المحافظة .

على ان هناك ظاهرة جديرة بالذكر ونحن في مجال الحديث عن بيوت العلم والادب وهي ان كثيرا من البيوتات والاسر العربية اعتنت بالعلم والادبكما لايمكن ان تعتني بشيء آخر مثله ، حتى جعلته مشربها ومأكلها. وقد اقتضت هذه العناية الفائقة أن يتوارث ابناء هذه البيوتوالاسر مسائل العلم وقضايا الادب توارثا متواترا متسلسلا ، فالاب بنفسه ينهض برعاية ابنه علميا وأدبيا ويرضعه خزائنه في العلم والادب ، ثم يكبر الابن وينهج نفس النهج مع ابنائه وهكذا دواليك . حتى تتكون من ذلك سلسلة مدرسية متصلة الحلقات . ومن هذه الاسر المشهورة بالعلم والادب :

الاسرة الطبرية :

فقد عرفت هذه الاسرة بالعلم والادب واشتهرت بذلك حتى انه ليس منها الا خطيب او اديب او قاض او غير ذلك فمنهم العالم والاديب والخطيب عبد القادر محيي الدين بن محمد الطبري ، والعالم الاديب الشاعر جمال الدين محمد بن عبد الله الطبري ، والامام الاديب علي بن عبد القادر الطبري ، واخوه الاديب زين العابدين وهذان الاخوان كانا كما يقول صاحب سلافة العصر « نوسا وعان ورضيعالبان ما منهما الا محسن مجيد » ومن هذه الاسرة ايضا العالم مفتي الشافعية والاديب البارع الفضل بن عبد الله الطبري .

وقد تخرج على يد هذه الاسرة العديد من العلماء والادباء لما كان لها من سمعة طيبة وشهرة ذائعة في اوساط العلم والادب .

الاسرة العصامية :

ومن هذه الاسرة الشيخ الاديب العالم عبد الملك بن حسين العصامي ، والشيخ الاديب حسين بن عبد الملك العصامي ، والشيخ الاديب العالم عبد الملك بن جمال الدين العصامي ، وقد عرفت هذه الاسرة بميلها الى الادب اكثر من العلوم الاخرى .

الاسرة المرشدية :

ورائد هذه الاسرة وقطبها الكبير العلامة الفقيه الاديب عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد المرشدي واخوه شهاب الدين احمد بن عيسى المرشدي الذي نبغ في الادب والبلاغة حتى كان اكثر ميلا الى الادب من اخيه ، اما الذي سلك سبيل عبد الرحمن المرشدي فهو ابنه الشيخ حنيف الدين الذي كان اديبا وعالما وفقيها حتى انه قام مقام ابيه فتقلد منصب الفتيا من بعده .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعلنا لا نبالغ ان قلنا بان عبد الرحمن المرشدي يكاد يكون مدرسة وحده ، بما اعطاه من اثر اثري به الحياة الادبية في قلب الجزيرة ، وبما تخرج على يده من العلماء والادباء ، فقد كان رائدا للاسرة كما ذكرنا، وتولى التدريس في المسجد الحرام فاتجهت اليه الناس تأخذ عنه ، وتولى التدريس في المدارس الموجودة في القرن السابع عشر الميلادي وهي فترة نضجه وعمقه الفكري .

وهناك ايضا اسر اخرى اشتهرت بالعلم والادب مثل اسرة ابن شيخان التي نبغ منها سالم بن احمد بن شيخان ثم جاء ابنه ابو بكر وبعده حفيده سالم بن ابي بكر .. وظل ابناء شيخان يتوارثون العلم والادب فترة طويلة .

كذلك في الاحساء عرفت اسر كثيرة بعنايتها بالادب والدين مثل آل غنام وآل عبد القادر وآل مبارك وهذا كله كان له اثره الكبير في ارواء الحياة الادبية ومدها بالطاقة التي تبعث فيها الحياة باستمرار .

★ ★ ★

الرحلات والاسفار

اذا كان الحرمان الشريفان قد خلقا من القطر الحجازي بيئة ادبية وعقلية مفتحة على العالم من حولها متفاعلة قدر الامكان مع كل ما يبعثه هذا الانفتاح فان رحلات علماء وادباء قلب الجزيرة العربية واسفارهم التي كانوا يقطعونها في بلاد العالم الاسلامي كان لها دورها ايضا في خلق هذه البيئة ، بل ربما كان لها اثرها في تعرف البيئة الادبية على كثير من النواحي الثقافية والفكرية التي كانت مغمورة او منعدمة فيها .

ولما كان للرحلات في الشام ومصر والمغرب العربي شأن واي شأن في عصر الدول المتتابعة حتى جاءت كتب الرحلات من احسن وافضل كتب التاريخ والاجتماع في هذا العصر ، مثل رحلات ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما .. فقد حرص ادباء قلب الجزيرة العربية على ان ينتهجوا نفس النهج وذلك لادراكهم ما تجلبه هذه الرحلات من المنفعة والخبرة في العلم والادب والحياة .. لذلك دخل هذا اللون الجديد من ادب الرحلات في الحياة الادبية واسهم بدوره في انعاشها .

واكثر من اهتم بهذا اللون الاديب محمد كبريت الحسيني الذي قام في القرن السابع عشر برحلة طويلة الى الروم والف في ذلك كتابا بديعا شائقا مثيرا سماه « رحلة الشتاء والصيف » وقد اثنى عليها المحبي في كتابه « خلاصة الاثر » .

ولا شك بان هذه الرحلة كان لها اثر كبير في الحياة الادبية عندما سجلها في كتاب فقد كانت خاصة بالديار الرومية التي كانت تشهد آنذاك ازدهارا وانتعاشا في العلم والادب ، ومن الطبيعي جدا ان يعجب الحسيني بعناصر هذا الازدهار ويتاثر به عقله وفكره، وقد كان بودي ان اقف مع هذه الرحلة في فصل خاص، ولكن عدم تمكني من الاطلاع عليها حال دون ذلك .

وهناك ايضا الاسفار الكثيرة التي كان يقوم الادباء والعلماء بها طلبا للعلم والادب وبحثا عن استقرار الحياة ، وكانوا يتجهون الى البيئات المزدهرة مثل مصر والشام كي يجدوا فيها بغيتهم التي يبتغونها من وراء تحملهم مشاق السفر ، فهذا محمد كبريت الحسيني دخل دمشق واجتمع بالاستاذ الكبير ايوب بن احمد واخذ عنه وانتفع منه ، ورحل الى القاهرة ولزم الشيخ محمد زين العابدين البكري واستفاد منه كثيرا .

وهذا علي بن احمد البخاري المتوفى سنة ١٨٠٦م .. قدم الى مصر مع ابيه واخيه ثم توفي اخوه وسافر عنها ابوه وبقي هو يشتغل بتحصيل العلوم والاداب وشراء الكتب النافعة ويشارك اشياخ العصر في الافادة والاستفادة .

وهذا علي بن محمد تاج الدين القلعي الحنفي المتوفى سنة ١٧٥٨ م رحل الى الشام واجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي فاخذ عنه وتوجه الى الروم ، وقدم الى مصر اكثر من مرة وحينئذ اكمل شرحه على بديعيته وعلى بديعيتين لشيخه عبد الغني .. وقرا عليه معظم فضلاء مصر كالشبراوي والاركاري وكانت له صلة بالوزير علي باشا ابن الحكيم ولما عزل هذا الوزير نفي القلعي الى الاسكندرية .

وهذا يحيى بن عمر بن محمد الهاشمي المكي المتوفى سنة ١٤٦٥ م زار مصر واخذ عن علمائها وادبائها ودخل اليمن وسمع من جماعة ، وفي زبيد قرا على الفقيه عمر المفتي شيئا من مصنفاته وتفقه بالنور الفاكهي ، وقرا عليه في العربية والفرائض .

وهكذا يتضح من كل ذلك مدى التلاحم والتفتح اللذين خلقهما قيام العلماء برحلاتهم واسفارهم في بلاد العالم الاسلامي كما يتضح لنا ايضا مدى اثر البيئات العربية — مصر والشام خاصة — في حياة الادب في قلب الجزيرة العربية .

البحرين - ابراهيم عبدالله غلوم

« للبحث صلة »

لبنى

شعر :

جميل علوش



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الشاعر يصطاف في « سوق الغرب » فنظم هذه القصيدة من وحي اقامته هناك ، في صيف ١٩٧٥ .

اشـــدو وشخصُـــك في عينـــيَّ منطبعُ
لبنان انت الهـــوى والشوق والوَلَـــعُ
لكـــلّ منزوفٍ جـــرحٍ فيـــكَ آسيـــة
وكـــلّ حاملِ عـــبءٍ منـــك مضطلِـــعُ
مـــرت ليـــاليّ في خـــوفٍ وفي فـــزع
واذ نزلتُـــك زال الخـــوف والفـــزع
تطـــوف عينـــيَ في دنيـــاك حائمـــة
علـــى ســـوى الرائـــعِ الفتّـــان لا تقع
الروض والنّهـــر والبطحاء اجمعهـــا
نمـــارق قـــد تولّـــى نسجهـــا صَنَـــع



كانما الحسن غيث فيك منهمر
اذا انتهت نُفَّجٌ منه همت دفع
او انه من ضياء الله مُنبثق
او انه من جنان الخلد منتزع
كانني من ربى لبنان في عُرُسٍ
روائع الحسن في دنياه تجتمع
طرفي وسمعيَ في مضماره استبقا
كلاهما يتصبّاه به الولع
المرهفان فما تخطيهما طُرَف
مما يحوك ولا تعدوهما بِدَع
أحارُ حينَ تناغيني بدائعه
ارنو فابصرُ ام اصغي فاستمع ؟

● ● ●

لبنان اية نجوى فيك تبلغني
ريّا وأي غليل فيك ينتفع ؟
غنّيْتَ في أفقك المسحور اغنيتي
والفُ خاطرة في الصدر تصطرع
فاعذرْ قوافيّ إن جاءتك عاطلةً
ولم يرفّ عليها الخصبُ والمرع
لم تبقَ منّيَ للذات باقيةٌ
فاتَ الشبابُ وما في ردّه طمع
لا الكاسُ لا الطاسُ لا الصهباءُ تشغلني
لا الزاد : ما أتقنوا منه وما ابتدعوا
ظلمتُ نفسيَ لا زهدا ولا ورعا
بئسَ الخليلان فيك الزهدُ والورع
لم يبقَ لي فيك غيرُ الغيد امنية
ولا سواهنّ مرتادٌ ومنتجع
فهلْ جناهُن دانٍ من أخي ظمأ ؟
وهل إليهن بعدَ الهجر مرتجع ؟
كلّ المناهل تشفي غلّ واردها
ووارد الغيد لا ريّ ولا شِبَع

● ● ●

وغيدُ لبنانَ كالنّوار زاهيةٌ
بها الدروب مُحلّاةٌ بها «الضِيَع»
كالفلّ كالورد كالرّيحان رائحةٌ
تزكو وأصبغةٌ تزهو وتلتمع
وكالحسان في الحانها مَرَح
على المروج وفي ألوانها يَنَع
يزهى الرهابينُ انّ نفشى صوامعهم
وان تزانَ بها الاديار والبِيَع
تلك الكنائس لولا ان يكنّ بها
ما امّ ساحاتِها شيخٌ ولا يَفَع

ان رُحْنَ ينشدن الحانَ الخشوع بها
راحتْ الى الله نجواهنّ ترتفع
استغفرُ اللهَ بابُ العفو منفتح
امامهنّ ودربُ الصَفْح مُتّسع

● ● ●

لبنانُ عفوًا إذا راحتْ مخيّلتي
بذكريات الاسى المخمورِ تلتفع
وأن هذا النشيدَ الحلوَ قد اخذت
تخبو تسابيحه النشوى وتنقطع
شعّتْ مزاياكَ في روحي فلفّعها
ظلّ كئيبٌ وطيف قاتم بشع
استريحُ ودوني عن ثرى وطني
سورٌ ومُحكمُ قيدٍ ليس ينْخَلِع ؟
وارتضي عنهُ مصطافا ومرتبعا
وما يضاهيهِ مصطافٌ ومُرتَبع ؟
يشوقُ مسقط رأسي ان شاعره
اليه من ظُلُماتِ الغيب يندفع
وان يجرَّ ذيولا في مسارحه
وان ترفّ عليهِ من رِضًى خِلَع
حُرِمْتُ رفقة أطفالي ورؤيتهم
وفي مرابعنا الغنّاء قد رتعوا
وجدهم يتلقاهم وبسمته
لكلّ ما تحمل الأحناءُ تتسع
لكلّ نبيّ اني شاهرٌ قلمي
في وجهِ مَنْ غصبوا الأوطانَ وانتزعوا؟
ولإنني أتحدّى لَيْلَ سَطْوتهم
باحرفٍ من نياطِ القلبِ تُقْتطع
براعةٌ تلْك لا سيف ولا رُمُح
ففيم يرتجفُ الطاغي ويمتقع ؟

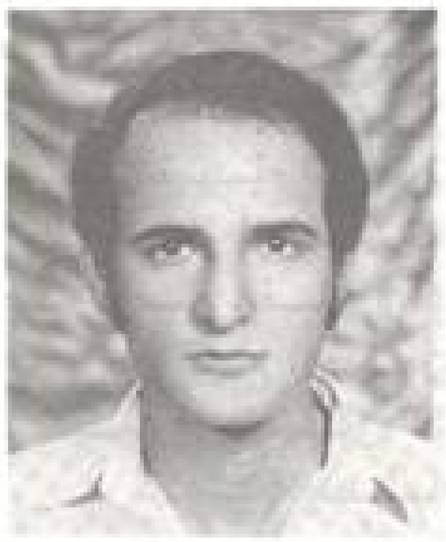
● ● ●

لبنانُ انّ جراحي فيكَ راعفة
قد حِرْتُ فيهنّ ما آسو وما ادع ؟
اخْشى على ثورةٍ في الصّدر كامنةٍ
تَجْتاح هادئَ أعصابي وتقتلع
هذي الشرانم مَنْ للبطش ارّثها
ومن لها بزمامِ الحكْمِ قد دفعوا ؟
بلْ كيف يَسْلُبُ أهْلَ الدّار امنهمو
مِسْخٌ من النّاس لا حرٌ ولا سَبُع
هذي الكآبة يا لبنانُ قاتلة
يا ليتَ شِعْري متى تجْلو وتنقشع ؟

جميل علوش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم أنهم يضمدون الجراح



قصة بقلم
سليمان الخليفي

امست الانارة الشديدة .. تضطرب من فوق البيت .. كالاردية البدوية . فبدا هذا الناهد ، فجاة من مظاهر البركان ، تحريكه لغرائز البحث عن شعور او فكرة ، محيلا من انطوائه على اسرار بريئة الغموض والتخايل .. شيئا يصنع الوله في الانتظار . فكانما الخوف والحماس الجامح يضيمان من وجهيهما في خطرات للسهو ، تنثها الاضواء في ارجاء نفس تعبى ، تقول : لماذا ..

تطرزت اصداء الدفوف بغمغمة الطبل ، التي تتخطى بالهون ، على حز النغمة ، فوق انفس المنتشين ، من تحت ريح الليلة الغربي ، وكان البيت يمتلىء بالاغراب والاقارب ، كعادة اعراس الباب المفتوح .

انتشرت زجاجات المرطبات على الاماكن وبين الايدي وعلى الاشياء المجاورة ، والتزت اعناقها بتداوير الشفاه الفاشلة بالابتسامات ، وبين الكلمات وارتسامها في حركات الابدان .. محاولة ان تحاكي سيل الالوان المنقبية من اعلى .

وكان الجميع يختلط من تحت الاضواء ..

★★★

تحدث احدهم بزخم عن حبه للاضواء البيضاء ، وولعه بحقيقتها ، وكيف تظهر الاشياء من تحتها بحيادية .

وعبر اخر عن هيامه بها ..

وكانت ثالثة تشير الى مجموعة صغيرة من المصابيح الحمراء في زاوية المنزل عندما قالت ، انه ارتمى الالوان ، فهو ظاهر في الحياة والنور .

وفي مكان اخر بكت واحدة ، بسرعة ، بجانب صديقتها .. لشعورها بالعجز عن ان توقف فكرتها على قدميها . ففي الفرص الكثيرة التي تتاح لها في العادة ، كانت تلتقي بالكثير من الاكفاء ، والجديرين ايضا بأي شيء .. لكنهم مجتمعون لم يتمكنوا من صنع ظل يساوي ما مده عبدالله من حولها . وهي لن تتزوجه .

كانت الام تضطرب بين العديد من الامكنة .. ترد على التهاني بأي صورة ، وتبذل ما في طاقتها لانجاح هذه الحفلة .. في الوقت الذي بدأت فيه الصغيرات ، بتلويح اعمارهن على الايقاع .

— عيني عليك يا غنيمة ..

في مثل هذه المناسبات ، ينسكب الفرح على المساحات ، عدا ما ترتفع به تضاريس الشواطىء بتكوينات متنوعة عن متناول البحر . وكانت غنيمة في واحدة من الساحات المكشوفة من قلب امها ، غصبا في تلك الليلة .

★★★

ثم اردفت لصديقتها ، شيئا اخر .

قد يوجد الانسان في اية شخصية ، الا ان الصفات الحسنة جميعها لا تغني عن صفة اكثر اولية ، وهي شرط « الا يقل .. عنا في شيء » .

عندما تتشربين هذه الحقيقة في دمك .. دون التورط بعاطفية او مثاليات ، فسوف تدركين انها الظل الوحيد ، القادر على حماية واحدتنا من اسباب الندم وشواغل الخوف من المستقبل .

ارجو الا تحكمي علي .. فبقدر ما تكون الطيبة شيئا جوهريا في طبيعتي لا انفك اشعر معها بالقوة . نعم لا اريد عبدالله .. كما ان المسألة التي تسوغ لي قبول اسماعيل .. تمنحني الثقة بأنه سيبلغ بصفاته معي مستوى سأرضى عنه ، وصدقيني ، اقولها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من القلب ، وانا من بلد ديمقراطي مفعم بروح الاسرة الواحدة،والاندفاع للاخذ بيد الغير ، وشفافية الدين السمح .. الجميع يعرف ذلك عن المجتمع الكويتي. .اليست هي الحقيقة .. صدقيني فانا لا املك سببا واحدا يدفعني لاحتقار الاخرين .. لكن ما ذنبي حين تعجز البقية عن ان تتكافا معنا ؟ . انا لم اكتب التاريخ .

★★★

صعوبة الانتقال من مكان الى اخر ، مع كل هذه التدافعات والاصطدامات بأجساد الزوار والانفاس المتقاصرة .. ومشاغلة المكان الذي تجلس فيه ابنتها العروس لتفكيرها .. والاجتهاد البالغ لتحاشي كل انواع القصور ، هذه الاشياء جميعا ، كانت تنمي لديها قناعة وهي ان السعادة لا يمكن ان تأتي الا وسط هذا الجو الشاق . فهذه اول فتاة لها تتزوج . ولعلها بسبب من ذلك ، ولكيلا تستهلك هذه السعادة دفعة واحدة ، شغلت نفسها منذ الظهيرة، فكانت تتوقف بين فترة واخرى لتجتر احساسا ما تختاره اختيارا .

تطلبت وقفتها الاخيرة وقتا فسيحا. فالثقة المطلقة بأن فتاتها تزوجت وسط كامل الصورة التي تمنتها ، لم تكن بالشيء السهل ، في هذا الزمن الكريه . وكان اسهل عليها ان ترى غيرة الاخريات ، من ان تقبل كوعها . الا انها لم تبخل على « ام عبدالله » بتعاطف نبيل .. اذ تقرقرت على عجل بـ « .. عسى الله لا يعاقبنا..» وبعد لحظة لم تتمالك ان تنقاد لمذاجتها وتبتسم في دخيلتها برضى.

ولان دقائق معدودة مرت عليها في تأملات ، اخلد جسمها خلالها للسكون شعرت فجأة بخدر خفيف يسري في جسدها ، فاضطرت ان تجلس على الدرج المجاور ، تاركة بدنها في حالة ارتخاء كاملة ، ليبدو على تكوين ظهرها تقوس خفيف .

كانت تجلس على الدرج وقد حشرت كفيها ، المضمومتين ، بلا سبب ، تحت كرشها من الجانبين ، مما جعل كوعيها جانحين الى الخلف. فكان لا يمكن لهذه الوضيعة المغرقة بالتركيز ان تحدث دونما خاطر مداهم، استولى فجاة على كامل عقليتها : يا من طحنت عمره ، يا غنموه !

★★★

اندمج الاطفال بحالات وازمنة متفاوتة مع الحدث العام الا ان حفنة منهم استقلت بنشاطات هامشية .. توشك ان تصنع معه تضادا عنيفا مباغتا ، مما قد ينحرف به الى مجريات جديدة او يسبغ عليه طواريء متنوعة الخطورة ، الامر الذي يحفز الى انواع من الحذر والترصد وعدم الاستقرار والوجل لدى الكبار .

وكان اولئك الاطفال يتخذون من الاماكن البعيدة وسائل للتستر ، حتى ان بعضهم تجاوز الدرج الى السطح الذي لا يستعمل هذه الايام قط اكثر من مرة .

★★★

تنقلت غنيمة الى اكثر من مكان ، وكان استعدادها للاختلاط مع الاخرين يحدث بنفس الحماس الذي تتعرف به على طريقها اليهم . وكانت في احتكاك الناس بها لا تؤدي اكثر من اجابات ذات ايقاعات متشابهة . وما عدا ذلك فقد كان انجذابا طيعا لشيء غريزي .

وفي لحظة حذر شديد ، كأنما هو من طبيعة مغايرة .. وقفت مبتعدة عن طريق طفلين ، ركضا بسرعة هائلة .

وسقط « الشانيل » الذي ترتديه. وكان بلون الخبز البائت . سقط فوق ركبتيها الصفراوين الموشكتين على الانفصام . فصنع بضع حركات واهنة لذيل فرس تعبى .

لم تعدم غنيمة في حالتها تلك ، الحافز الى ابتسامة تبقى ماثلة في ملامحها الى ما بعد انتفاء السبب ، بزمن طويل .. فتتحور ايحاءاتها ، وتشف عن عمليات نفسية محتدمة .

وبرغم ما يحدث في راسها من صخب ، فان هذه الاحداث الوجدانية والذهنية من البخل ، بحيث لا تتنامى الى آفاق تتسع في ذاتها وتتجسد بها. ومع ان تلقها يزداد حدة بهذه المناسبة وينقلب مزاجها ، الا ان ذلك يحدث على نحو عرضي .. واكثر من ذلك فهي عندما تتحدث في اوقات كثيرة برغبتها في الحصول على اطفال .. كان الجميع يشك بادراكها لكينية .. او معنى هذا الحصول . الا انها ليست اردأ محتوى ، من اية غنية وطنية .

★★★

كان من بين عناصر الاضاءة ما هو على شكل الفاكهة المحببة .. تفاح ، ليمون ، عنب ، ينتشر فوقيا على طوال الممشى المؤدي الى باب السكة ، حيث احاط بتفاحة كبيرة ناضجة ، مضرجة بألوانها ، اطار من المصابيح البيضاء ، فبدت كما طبيعة صامتة ، وقت ان لمحها احد الواقفين على الجانبين ، فوجدها نموذجا ، مثاليا ، لتلك التي تغلغلت في نفسه يوما ما ، امنية جارحة .. ولم يحصل عليها ، فقال في نفسه : ما اشبه الليلة بالبارحة

وذهبت سدى جميع المحاولات . اذ لم يستطع ان يتحكم في تفكيراته التي كما لو كانت تتدفق مع توهجات الانارة الملونة .

حقيقة انه تزوج من انسانة احبها واعجب بها،لكنه ما زال يفكر بالاولى، انه يشعر عندئذ وكأنها تحل في نفسه بفراغ بارد يخفق له القلب . انه يشمئز منها . لم يتمن ان تصاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بضرر ، وانما فقط ان يؤكد لهابطريقة تفهمها جيدا ، وباسلوب مهين ، انها لا تستحق اللحظات التي كانت ستقضيها بمعيته .

كانت قاسية ، لم ير اجمل من ابتسامتها .

وبرغم كل ما بذل من محاولات ، فقد انهت حوارها على الشكل التالي .. « الطلاق ، او اخونك مع اول قادم » .

★★★

كان الزواج ، في السابق ، يستمر اسبوعا ، والاطفال يتدحرجون على امتداد السجاد المفروش . وتغير الكثير .. الا ان الفكرة منه ما زالت تتحقق حتى الان .

« حفظ النوع » ، « اتمام الدين » ، « الحاجة العاطفية » ، امور طالما تعرضت للغياب والاهمال .. ليأتي بالدرجة الاكثر اهمية ، الاقتصادي والاجتماعي وجها الانسانية الضروريان . واثناء ذلك ، يتخلف الانسان المطلق والخالد والمشترك بين الطبقات .

وابتسم عبدالله لهذه الخاطرة . ففي المناسبات ، وعندما يردد الناس مفرد « مناسب » ، فانهم يقصدون في الغالب « نافع » . انها تناسبه او العكس . كل من وجهة نظره . وهكذا تتحقق العلاقة او الرباط من الناحية الغائية .. شيئا مناسبا لمصلحة الاهلين .

★★★

قال : الحمد لله . فلو ان الاخلاقيات وامثلة المجتمع السامية ، هي التي تتحكم بصياغة العمليات الطبيعية ومشكلات الصيرورة ، لتمفنت الحياة منذ الازمنة السحيقة وانتهى العالم .

وتكونت ابتسامته فيما افتقد الى عروسه من كل السعادة التي في بدنه واطلت من عينيه بصورة قريبة من التي تدرب عليها طوال الليلةالسابقة، وفكر بانها ستوصل الفكرة لزوجته وباكمل ما يمكن في ليلتها الاولى .

وجلس دون ان يحس باحتراق شفتيه من القبلة المفسلجة تحت انظار الحاضرين . لكنه نسي ان يحزن ، بسبب من الفرح المتكالب عليه في حركتهم . وهذا هو السبب الذي يجعل الانسان عرضة للتمعن بهذه الاخلاقيات والامثلة وللاشمئزاز منها، وركلها ، والاتيان بغيرها . ثم التفت الى زوجته وقال بصوت خفيض :

— واخيرا ...

ليمثل والده ، رحمه الله ، وكانه لم يغادر للحظة : لن ازوجك الا من واحدة ترفع الراس .

وكان والده ، رحمه الله ، اضحوكة (المعازيب) وشيخ العائلة الفاضل .

وكان ذلك من بين الاسباب التي جعلت منه عزوفا ، شغوفا بكرامته الى حد الانتحار الفاصل .

★★★

دخل بصورة مفاجئة .. ووجهه ينصاع بقوة الى نث حالة بالغة من التساؤل.كان تكوينه الملتوي والمعبر يغني عن ذات الحالة .. كانما القى بفعل قوة معتدة الى داخل البيت ، بواسطة اقتطاع جزافي من الخارج .

تنقل من مكان الى مكان .. كانت مناظر ، واشياء ، واشخاص بعينها تثير انتباهه .. فيزداد استغراقا .. وكانه يبتلع العالم بعينيه ويخرجه من فمه كل مرة كان يلتوي جسمه بين الامكنة .

في ذلك الوقت ..

حدث انفجار ، انتبه بسببه الجميع . واعقبه ثان ، ولد حذرا وخوفا مبدئيين ، فتبعهما الثالث ، وكان لمجموعة من المصابيح ، ترتبت عليه صرخات وانكسارات لعدد من زجاج المرطبات .. فاحس الجميع بسرعة غريبة ، بما يضغطهم الى زوايا قصية من نفوسهم ، ويحشرهم ، ويهددهم بشيء قد يحدث في لحظة ..

وكانت مفاجاة ، تسببت في اطلاق الخوف في النفوس دونما حدود ، لكن احدهم عمد الى المبادرة ، بان اغلق مفتاح التيار الرئيسي .

وبسيادة الظلام .. عبثت مختلف المشاعر والافكاروالاحداث ،وتقاطعت مع مثيلاتها ونقيضاتها .. وكان الخوف حبلا يجرجر امواج الحاضرين، ويحدث الصراخ في حناجر الفتيات والاطفال .

وكان غضب من الجانب الاخر . فقد تحركت يد واعادت النور الى مجراه . ليفاجا الجميع ويعبروا عن ذلك بالمزيد من الصراخ والتدافع . الا ان صرخة انسلت .. كتفجر رعد طويل ، مبحوح الصوت ، خرجت من عظم الرسغ الذي ضربه نصل زجاجة بقوة قاسية ، بعد ان مزق طريقه في الكعب من اسفل الى اعلى. ذهلت فنية بعد ذلك ، وانهدت على ظهرها ، فامسك بها البعض .. وتدافع دمها الى الارض .

وبمضي شيء من الوقت .. خرج مثلما دخل ، دون ان يلحظه الا القليل. وما كان يغادر المكان بسرعة ولكن باصرار . وذلك لانه بدا يسمع عن بعد .. انسيابا حزينا غاية في البطء ...

" هبّ لغّريبي . . رمى التفاح بأوراقه ...

" والعين .. ، .. على اللي .. ، فراقة ...

سليمان الخليفي

الكويت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكايات عينيك



شعر :

عبدالصاحب الموسوي

تمرّين في الذهن عصفورة
يبلّلها مطر الذكريات
فتندس في الصدر اي العشاش
كصدري اذا غام وجه الحياة ؟

● ● ●

تخافين يوما فرشنا له
دروبَ العذاب وقلنا ! تعال
تخافين جرحا لآلامه
لذاذة وعد وطعم سؤال

● ● ●

عذابك يندى شذى والدموع
عناقيد يشرق منها غروبي
ففيبي كما شئت ، لن ينقضي
زمانك في القلب مهما تغيبي

● ● ●

تمرين في الذهن لون انتظار
وهمس النجيمة قبل النهار
ووعدا ، وخلفا ، وحرف اعتذار
وصحوة اغنية من خمار

● ● ●

حكايات عينيك يوما فيوما
تشق بصدري جداول حمى
يعرش في ضفتيها العذاب
جنائن حلم .. فهل كنت حلما ؟

وهل كنت وهما أضاع الطريق
فالقى مراسيه في ساحلي ؟
سكرت بعينيه حتى صحوت
على آهة العمر الأفل

● ● ●

ولو كنت حلما لما ازهرت
بكل مكان الفناه ذكرى
ولو كنت وهما لما استرسلت
اماني اللقاء بروحي نهرا

● ● ●

... وكنت تقولين عن حبنا
كلاما وشعرا ودمعا غزيرا
وحين رحلت افاق الصدى
فغنى .. وغنى . .وغنى كثيرا

● ● ●

حكايات عينيك قد واعدت
بانك راجعة لا محالة
ففيبي كما شئت لن تنطفي
شموعك في القلب حتى الذبالة

● ● ●

عبد الصاحب الموسوي



محمود تيمور

في ذكراه الثانية

" ٢٥ اغسطس "آب" ١٩٧٣" "٢٥ اغسطس "آب" ١٩٧٥"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختيار واعداد
رستم كيلاني

قضت السماء بان يفارق جمعنا
« محمودنا » واستشهد المصباح
عبر السنين فما تراخى جيده
يوما ولا مل الصعود جناح
خط الكثير من الروائع وحيه
وثماره طابت بها الاذواح
والى البيان قديمة وجديدة
وله على متن السحاب براح
يهوى ويؤثر كل لفظ مشرق
وفي على رحباته الافصاح
قد كان « محمود » العظيم نموذجا
والصدق من صفحاته ينداح

« قاسم مظهر »

صدق أستاذي ووالدي الروحي فقيد القصة العربية الاستاذ الكبير المرحوم « محمود تيمور » حين قال : « ان حياة الكاتب لا تنفصل أبدا عن انتاجه ، فالكاتب هو انتاجه » فكانت بالفعل شخصية تنعكس على كل ما كتب من أمثلة انسانية ترمي الى أهداف رفيعة ..

وتصديقا لهذا القول سئل فقيدنا الكبير عن الاعمال الاكثر تعبيرا عن حياته الذاتية .. ورأيه في المذاهب الادبية ، فقال :

« كل عمل من اعمالي هو جزء من ذاتي ، وبضعة من حياتي ، فلقد أودعت اعمالي ما احسست به على مدى أيامي ، وما أفدت من مدامجتي للناس ومعاشرتي اياهم على اختلاف المشارب والفئات والبيئات ..

وأنا حين أراجع ما اكتب ، وبخاصة ما مر على ظهوره سنون كثيرة ، اجد في كتبي صفحات متناثرة من تاريخ حياتي ، وتاريخ تطوري، وتاريخ علاقاتي بالناس . وتكاد كل صفحة تذكر مرجعها من تلك التواريخ، وتنطق الاسماء الحقيقية التي تدل عليها والتي كانت لها في الواقع ..

وكذلك فيما يتعلق بالشخصيات ،

ولا تحسبن هذه المذاهب قسمين : خطأ وصواب ، او صالح ، وفاسد، أو راجح ومرجوح ، أو ابيض ناصع وأسود حالك .. بل اعتقد ان لكل مذهب حافزا من حقائق الحياة، وعلى كل مذهب ظلا من الصواب ، وفي كل مذهب بذرة فائدة ونفع ، فاياك أن تزري بأحد هذه المذاهب ، وإياك ان تتعصب لواحد منها تعصبا يطمس امام عينيك مختلف الاضواء ..

الحكم القاطع يتخطاه مذهب او الوقوف عنده لا يتفق مع حركة الفكر، وطبائع الاشياء ، وهو لا يتفق ايضا مع سعة الافق في استشفاف جوهر الانسانية وحيويتها .

يعجبني هنا ان اشير الى أثر المذاهب الاسلامية في توسيع الفقه

فان بعض النماذج التي صورتها من الناس تنطبق على بعض من عرفت، وتكاد تدل عليهم وتشير اليهم من قريب ، ومنهم من كان يعرف صورته بعينها كما رسمتها .

وعلى الرغم من مضي عشرات من السنين تكاد تدنو من السبعين على بعض اعمالي الادبية ، ومضي ازمان متفاوتة أقل من ذلك على بعض هذه الاعمال ، فاني لا اذكر ان لي بينها عملا لا يمت الى نفسي وذاتي بسبب، لاني لم اكن انقل من كتاب ، ولم اكن اتكلف التعبير ، وانما كنت اصدر عن مشاعري واحساساتي النابعة من ذاتي فاني وكتبي،كما قال شوقي: « انا انطونيو وانطونيو انا » .

أما بالنسبة للمذاهب الادبية :

فاني من الذين يتتبعون هذه المذاهب ويدرسونها ويتعقبون مايقال عنها ولا اكتم اني في بعض الاحيان اجدني متشيعا لواحد منها دون آخر، ولكن هذا التشيع لا يلبث أن يترك مكانه لمذهب أو لوجهة نظر جديدة تلوح لي .

الاسلامي وامداده بشحنة حية من قوة التفكير والتأويل والاستكناه ..

ولكن هل منعت المذاهب متدينا من أن يرجع الى الكتاب والسنة يستمد منهما في حرية وطلاقة هداية لعقله وايمانا لقلبه ؟

ليكن المسلم حنفيا ، أو حنبليا ، او مالكيا ، أو شافعيا ، أو غير اولئك جميعا ، فهل يستطيع ان يخرج بمذهب من هذه المذاهب عن الاصل الشامل والجوهر الصميم ، جوهر الكتاب .. كتاب الله ، والسنة .. سنة رسول الله ؟ » .

● ● ●

وكثيرا ما سئل عن المصادر التي تلهمه الكتابة ، والكتب التي تفيد كاتب القصة ، والصفات التي يجب توافرها فيه ، وفي الواقع الاجابة عن هذا السؤال تعتبر درسا هاما لكتاب اليوم ، والغد ، والاجيال القادمة ، فقال رحمه الله :

« الحياة باحداثها والتجارب الشخصية ، ومدى استجابتي لها ، والمطالعات ذات اثر كبير جدا في استلهامي للافكار ..

هذا الى ما يجري في الطبيعة من سنن التطور وجارف الحدثان ، وبارز الصور ..

أما الكتب التي تفيد كاتب القصة هي :

الاول : كتاب الحياة

الثاني : كتاب الثقة بالنفس

الثالث : كتاب المثابرة

الرابع : كتاب التطلع الى الجديد

وهذه الكتب يجب أن يؤلفها القاص نفسه ، وأن يكتبها بمداد من العرق والدموع ..

والصفات التي يجب توافرها في كاتب القصة فهي :

الموهبة ، وموجز الصفات اللاحقة بالموهبة أن يتزود القاص بدراسة أصول الفن ورسومه ، كما تتجلى على أقلام النقاد ، وأن يتسع اطلاعه على امهات القصص في الادب العالمي ، وأن يبدأ مع ذلك المرانة ، وبهذا الجمع بين الجانب النظري والجانب العلمي التي تكتمل للقاص أدواته ، ويتم نضجه .. »

● ● ●

ومن الاسئلة الفكرية ذات المدلول الفلسفي في الاجابة ، سئل فقيدنا الكبير ذات يوم عن اهم واعظم شخصيات عالمية خمس ، فقال :

« الانبياء الخمسة :

« محمد » رمز الانسانية الكاملة .

و « عيسى » رمز الرحمة الشاملة .

و « موسى » رمز الصراع المرير .

و « ابراهيم » رمز الايمان العميق .

و « أيوب » رمز الصبر الجميل . »

● ● ●

هذه نماذج من اجابات « محمود تيمور » عما كان يوجه اليه من اسئلة شتى في الوان من قضايا الادب ، والفكر ..

ومن خلال سطورها تتجلى عليك صورة « محمود تيمور » المعلم ، والفنان الصادق الذي يخدم فنه بصدق واخلاص ، والانسان النادر عف اللسان الذي يعز عليه ان يجرح حتى الذين يجرحونه ، والذي انار لنا بمشاعله سبل الانسانية ..

لقد آثرت اليوم .. وبمناسبة مرور الذكرى الثانية على وفاة هذا الرائد العظيم ان أقدم هذه النماذج التي انتخلتها من بين عشرات ، بل مئات الاسئلة التي وجهت اليه لينتفع بها معي كتاب اليوم ، والغد ، والاجيال القادمة ..

تحية لذكراك العطرة يا سيدي ، ويا استاذي ، ويا والدي الروحي ..

والى أن يحين اللقاء ، عليك الف .. الف سلام في دار الخلود ، والسلام ..

القاهرة ــ رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« فينوس قدسية الحب »

شعر
عبد الشافي داود

في مطلع الحان قدسيه
انت حصاد للضوء المسموع
مرسم ألوان حسيه

● ● ●

يا كل أغاريد الضوء ..
اذا ما داعب ازهار فراديس الحب
يا روح العطر ..
اذ شب الوجد المخمور على أغصان القلب
يا نبض شروق الايام السكرى
فوق انامك الاعوام تصير ..
خطى طفل ...
ضحكات ازاهير فجرية
رقصات لحون فوق مدارج ضوء قمرية
آه .. أتذكر لحظتنا الاولى
حين رأيتك صبحا مولودا .. في فردوس من لؤلؤ
نورا يتخطر .. يبعث في جنبات الكون

● ● ●

جاءت فينوس تعانق اطيافا حالمة بيضاء
وكأن اللحن التف على قيثارة ضوء
فتسلقت تفاريع الضوء .. لاقرأ لوحة عينيك
« بحر تترقرق فيه اناشيد الحب
تتدلى .. تشرب من عطر روافده
أغصان القلب»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشببت لاحصد فيها
أنغام أزاهير تعزف موسيقى الالوان
كـــل صبـــاح
كـــل مســـاء
أغزل من قلبي زورق تحنان
فيجوب الزورق يلثم في بحرك ..
كل الامواج البللورية
وأمد انامل صدري ..
أقطف عطرا فطريـــا
وأهدهد أجفانك ..
«(مرسى كل محارات العشق الزاهد)»
والملم عشقـــا منثورا ..
في خارطة الضوء البحرية

● ● ●

آه .. تأتيني في عمق الليل
أرشف في صوتك انشودة قيثار اخضر
تأتي أنفاسك
تتخطـــــر
تتراقص حولـــي
كفراشات العشق الليليه
تنساب على جسدي
تلثمني .. وتكللني
تأخذني فوق مسارات الحلم
تتداخل في صدري
كتهاويم النار
فتعلمني عزف أقاصيص الخدر
فتسيل بنا قطرات النشوى
ننساب معا
نحسو روح الخمـــر ..
واحساس النور ..
وأنفاس النار
نرسم من ألوان مشاعرنا
لوحات الاعصار
نولـــد عاصفة ..
يصخب جمر خلايانا
في أعنـــف موسيقى
آه .. ينصهر اللحن بأقدس أشعار

● ● ●

فينـــوس
هات كل أناملك العطرية
مـــــدي صـــدرك
هـــــات
كل مفاتيح الجنات
في شجر الفردوس
علقت على شعرك اغنيتي
وبنيت عشائش مخيلتي
في كـــل لقـــاء
يتغنـــى نبضي لحنـــا
يتهـــادى .. همسا .. همسا
يصاعد .. يصخب .. يرحل في سفن الاحساس ..
ليرسو في أغوارك
ثم يعود حفيف يتسلق أشجار الحلم ..
ويسكب قطر الانغام
في ثغـــر براعـــم أزهارك

● ● ●

ان جئت الي لتبدأ رحلتك الوردية في صدري
أو جئت اليك لابحر في عينيك
ارحل فوق سفائن حلمي
لخزائن موسيقى الشوق الكونية
أسرد سر عبادتي الاولى
أفرش في صدرك بردة حبي
وأنـــــام
يا قـــدس القلـــب
في قلب نواتي العمـــر
يتوحـــد روح مخيلتي ..
في جسم مخيلتك
يمتزج اللون مع اللحن مع الفكر
تتآلف .. تجمع منـــا ..
طيفـــا عانـــق طيفـــا
تلمسنا أيدي الشمس النازفة الدفء
نصاعد في روح العطـــر
تجذبنا الافاق
نستيقظ في نجمات فضيـــه
ونذوب بعمق شعاع ذهبي
يتخضب في الزهر الناعس
ونواصل عزفـــا
في جوقة أصوات ناعمة اللون
في لوحات فصول ضوئية
نرسم بالنغمات المولودة قلبا
تحكـــــي أنـــا
دوما .. نرحل في سفن الاحساس ..
ونحيا حبا
نحيا حبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٦

للخيول الكسيحة



لا تأخذني للقاتل ،
خنجره بين
المعمرين ينام ، وغطته الاوراق
وأنا ابتعت الغربة ،
مرّغني الهم المكبوت بصدري ،
فوق تراب البعد ، لاني اشتاق
لتراب بلادي العالق بالعمر الاتي
ذهني يستجدي من قلبي المحروق ،
بجمرة حب الارض عطور العشاق
وحروف دوائي
رسمت لحظات مشلولة
رشّت حبر الاغفاء على عيني
ففقوت وكبلني الصمت
وغرقت :
عرفت بأن الاعناق
تستسلم للذات
ـ الحبل الملتف على المغتربين ـ
من يمنحني حرف نجاتي
حتى الاسواق
لا تملك من يبتاع الحزن الخانق
آه ، ان الموت الصادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر :
فيصل السعد

درب نحو الارض المهجـــورة
والغربة لا تمنـــح غـــير الاشواق التعرف ،
لذة جرح سامـــر حر المجـــروح ،
وبرد المجـــروح
« مرة قال لي صاحبي
ـــ كانت الزاويه
معتمـــه ـــ
ان تلك السنين التي فوق صدري تنام
أوسمـــــه
قلـــت :
ـــ يا صاحبـــي
ان هذي الطيوف التي لا تجيد الكلام
أحزمـــــه
طوقت حرفنا
اطعمتنا السكوت
قال : هيا ننـــام
قلت : لا
ـــ هل تحب السهر ؟
قلت : لا
ـــ هل تحب ...
أن أموت »
لا تلعب بالنار ،
ان كنت تخاف الضوء ترجل عن فرس الاسفار فانت التارك زادك خلف غيوم المطر المقبل ، انت المخنوق بخوف الذات من الضوء السابح في عينيك
لا توهم هذي الفرس الحلوة . خليها تركض فـــي صحراء العمر المجدب ، وارحل
في صمتك للنور القابع في زاوية من جسد العالم تلك الفرس العطشى للحرب ، رجتـــــك نزولا عن سرج يشتاق السيف القاطع خيط كساح الفارس
فترجل ، وابحث عن عكاز تسطيع مواصلة ، السير بدرب العتمه
ثم ...

من أنت ؟
هل أنت المدمن جرعات الصمت ؟
هل انت الموت ؟
لا تلعـــب بالنـــار ،
ان كنت تخاف الجوع
الانسان المترقب يوم صهيل الخيل تشاطر ،
صار جموع
ورياحك عاقـــرة ،
فلماذا اعتدت ركوب الخيـــل
وخطى الفرسان تخطتك .
فترجل يا سورا يحجب عن عيني الشمس ... ،
الشمس .. الشمس ..
آه لو تغرقنـــي الشمس
فأنا عذبني الظل الغـــارق في ظـــل اخر ... ،
ظل .. ظل .. ظل
وخيولك ما زالت ترجوك نزول السرج ،
لتشهر لون براءتها من هذا الهمس
« مرة زارني صاحبي
ـــ لم اكن املك
غير ذاك الفراش
كانت الشمعة
تحتـــرق
وارتعاش اللهب
شارة الانطفاء ـــ
قال لـــي :
ـــ ان بقيا السنين
نصرنا المنتظـــر
قلـــت :
ـــ يا صاحبي
أن تلك الندوب
عارنـــــا
آه لـــو ..
لو نتوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتبة الموت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأليف فايز غالي

جلس على فراش الموت واثقا من اقترات منيته . الكل حوله وعلى رأسهم صديقته اقربهم وأحبهم الى قلبه في العيون تساؤل : لماذا أرهق نفسه وفي الارهاق حتفه .. هل كان يقصد .. هل وصل اليأس الكامل ، أيريد أن يموت ليرتاح ؟ ام ان ماحدث كان قضاء وقدرا فرضته عليه ظروف حالهن المؤلم استكمالا لدوره وافنائه لنفسه في سبيلهن .

نظر اليهن بعينين ساهمتين :

مالت عليه صديقته وشفتاها ترتعشان حبا وقبلته فيخده ثم مسحت قطرات العرق المتناثرة على جبهته بأناملها الخشنة . رفع يده بوهن واحتوى يدها المعروقة في يده وبادلها نظرة حنان فأنزلت يده بيدها على عنقه ولمست أصابعها الحجاب المعلق على صدره ودارت عيناها في محجريهما مرتابة فيمن حولها ولم يلحظ أحد .

الحجرة كانت تغص بأتباعه . البعض منهن جالسات حوله والبعض وقفن بجوار النافذة والفراش وباب الحجرة وبدون جميعا مؤمنات بقضاء وقدر ما حدث . نظرات عيونهن كانت توحي اليه ذلك .

كن جميعا متشحات بالملابس النسائية السوداء .

سعل .. على الفور مدت احدى اتباعه يدها وتناولت زجاجة وملعقة وصبت بعضا من الدواء وانحنت عليه متوترة ودستها في فمه فابتلعه وظلت منحنية عليه حتى استرد انفاسه لحظ شعر صدرها الكثيف بارزا من صدر فستانها وكذلك شعر يدها .. وشاربها الذي نبتت شعيراته .

قال بوهن : يبدو أن مرضي قد انساكن واجباتكن نحو انفسكن .
واشاح بوجهه مكتئبا . انتفضت تابعته مذعورة خجلة وتراجعت ضامة صدر فستانها وانفلتت الى خارج الحجرة شبه عارية ، فساد الاضطراب الحجرة وعلا الهمس بين النسوة مستنكرات موقف التابعة .. مالت صديقته عليه مداعبة وقالت :

حبهن العظيم والمهن انساهن انفسهن .

قال وهو يحاول ان يبسط قسمات وجهه :

لا شيء في هذه الدنيا حتى ولو كان انا يجعلكن تنسين المبادىء التي اجتمعنا عليها . ثم أردف حزينا ولا بد ان يستمر هذا ايضا ياصديقتي بعد موتي .

كانت كلمة الموت كافية لان تحدث ذعرا مبينا على وجوههن ورحن يشحن بأيديهن صائحات .. لا تقل ذلك لاتقل ذلك .. دار بعينيه فيهن واحس بالغبطة وهز راسه وسرح في الحجرة بجدرانها البيضاء الناصعة وكلهن حوله كالبقع السوداء متناثرات وتذكر الايام الخوالي عندما كن يجتمعن به في الخرائب وسط اكوام القمامة وبراز الاطفال وعلب الصفيح الصدىء في ظلام الليل وعلى ضوء القمر وهو في ملابس كودية الزار بشعره المسترسل على اكتافه وهن وراءه يتمايلن على ايقاعاته العذبة وعندما ينهرن متشنجات في غيبوبة طويلة يمر عليهن ماسحا جباههن مباركهن مقبلهن واحدة واحدة . نظر في عيني صديقته طويلا وتجسدت أمامه صورتها القديمة بشاربها وشعرها الاكرت وملامح ذكورتها قبل ان ترضى بالتخنث عن طيب خاطر مع باقي الذكور .

عاودته الازمة ، جحظت عيناه والالم يعتصر منتصف صدره.تباعدت انفاسه .. وبهتت بشرته .. حزن عظيم يسود الحجرة البيضاء . حدث هرج كبير ، تخبطن في بعضهن .

حضر الاطباء ..

الاجهزة تعمل .. القلب ينبض . ارتدت الحياة ..ا نفرجت الوجوه لم يمت ، صحن جميعا ..

أراح راسه على الوسادة ، فتح عينيه على مصراعيهما ، تفرس فيهن .. تحدث عن الامل .. اشرأبت اعناقهن نحوه مستمعات لحديثه الخافت الواهن .. سعد فما زال وهو على شفا النهاية المخلص لكل الالام القادر على كل شيء . نظر الى صديقته بطرف خفي . فهمت وفجأة انطلقت تبكي بكاء حارا ... امسك يدها يحاول اسكاتها طلب اليهن جميعا ان يخرجن الا هي وخرجن .

جلس بسرعة على حافة الفراش وقال لها — اذنت الساعة فليمض كل شيء بدقة .. قالت وهي تمسح دموعها :

— لا اتصور ... لاستطيع ان اعيش بدونك لحظة سيصبح كل شيء بعدك خرابا .. قال والالم يمزق صدره .. لم اعد قادرا يجب ان اذهب ، الحب وصل الى مرتبة التأليه .. والزار والغيبوبة سوف تقضي علينا جميعا اننا على شفا الهلاك .. هناك شيء فقدوه بسبب الزار — لا اعرف ماهو ..

صاحت : مستحيل .

قال : انت تعلمين الحقيقة هذا هو الواقع وانت الوحيدة التي يمكنك ان تفهمي ، نحن الان وحدنا ويجب أن تعيدي هذا الشيء المفقود . اشاحت بوجهها وهبت واتجهت الى النافذة ونظرت الى الحديقة كانت هناك حشود من النساء عرايا ينظرن نحو النافذة بينما انهمك البعض منهن في التبول والتبرز بجوار جدران البيت . عادت اليه وجلست ودموع حقيقية في مقلتيها وقالت : انا بغيرك لا اساوي شيئا .

قال وهو لا يداخله شك في عظمة حبها له : اذا كان هذا شعورك فيجب ان تساعديني على الرحيل ، سأذهب وسري معي لكن المهم ان يبقين جميعا مؤمنات بقدسيتي وطهارتي حتى بعد غيابي عن هذا العالم ، يجب أن تبقى لهن ذكرى تاريخية نظيفة يقصونها على أبنائهن واحفادهن والا يتصور انسان في يوم ما أن ما فعلته كان انتحارا .

صاحت : لا بد .. وانفجرت في بكاء حارق . كفكف دمعها . وصفق فتح الباب ودلفت جمهرة النسوة واجمات وهو متوسد يلهث وعيناه تغربان وما ان رأينه حتى ارتفع نواحهن وصاحت صديقته :

العظيم سيذهب ، انها لحظات النهاية . ولكن كانت هناك ذرات شك باقية تداخله في درجة الوهيته فقرر أن يجري تجربة اخيرة . فتح عينيه بسرعة وتنفس . فذهبت الغمة — انه حي ، رحن يضحكن ضحكات عالية مخبولة قبلن بعضهن جلسن الى جواره يلمسن جسده بوله وعشق مجنون قبضت صفيته على انامله تبركا . احتواهن بنظرات الراعي لخرافه الغبية . وكانت المرة الاخيرة. ثم مال راسه وانفرطت الاصابع وغابت العينان وراء البياض الباهت.

انفجر الصراخ والعويل نافذا من الجدران الى الشوارع شاقا عنان السماء ... الدموع بحور شقت الصدور ... مزقت الخدود .. غطوه بملاءة بيضاء انحسرت قليلا عن جبهته فأتاحت له ان يوارب جفنيه ليلمح الفاجعة والاطباء يجمعون على انتهاء أجله ... اغلق جفنيه .

الصمت يغلف الشوارع،سكون هائل ران على كل شيء .

انطلق الركب في خطواته بتؤده ووقار فرضه جلال الموقف ... الخطوة وراء الخطوة الرؤوس منكسة وبين كل لحظة ولحظة يعلو منديل ابيض بين النسيج المتلاطم الاسود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليمسح دمعة انسكبت من مقلة او يكتم شهقة انتفخت العيون تورمت الجفون وبساط الرحمة يهتز مع كل وقفة ونغمة آلة نحاسية .

عربة الموتى تمضي في الطرقات والحواري والازقة .. تستعرض . مر بجوارها مجموعات من الحمير والجاموس وجمال في طريقها الى المذبح تاركة وراءها روثها . توحلت فيه اقدام النسوة وعلى الطوار تكوم الاف ... « بائع عسلية .. »

.. وبائعة بخت بمليم .. واخر وضع لبشة قصب على باب بناية وعلى الارض بجواره جمع من الاطفال .. اشباح امتلأت بطونهم بالعصير والمولاس راحوا يلقونه فوق رؤوس النسوة . واخرى متربعة الى جوار عمود في اخره رقم ونفرت حلمة ثديها ترضع طفلة حتى تصل الناقلة وتعود بها الى البركة النتنة التي نزحت منها والى جوارها واحد محتضن قفة وهذا الاعور وذاك الاعرج وعربة تجرها دابة يطلقون عليها « عربة كارو » وفوقها تربعت خمسون الف اسرة حلوقها مفتوحة ،

عربة اخرى طولها تسعة امتار مرقت .

نظر الميت من فرجة الصندوق وقال لنفسه يا عالمي العظيم سوف اتركك .

الطريق الى اللحد طويل .

الحوذي مال راسه اخيرا وضم جفينه وزم شفتيه وغفا . وتوقف الزمن .. الالات النحاسية خرست تجمدت النسوة ، ماتت الحركة والانياب تقرض كمدا .

نزل الضباب وتغبشت الوجوه . برزت ثلاثة سياط سوداء فرقعت في الهواء ولسعت الخيل فصهلت وانتصبت ذيولها كرؤوس الحيات .. جمحت ، دفع الحوذي ، سقط على الطريق .. العربة بغير قائد انحرفت في زقاق شاقة برك الماء الراكد فتناثر الرذاذ على الابواب المبصومة بدماء الخراف في اعياد الضحية .

تجاوزت عشش الصفيح والبيوت الطين .ومخلفات السيارات القديمة وبجوار نهر عظيم مرت ومن اعلى بناية فخمة في قمتها شعور متهدلة واحذية لامعة وموسيقى صاخبة بدا طفل سرق قطعة من الحلوى فانطلق يعدو بكل ما أوتي من قوة هاربا في خطوات متعرجة ودمعة سعادة تترقرق في عينيه . قطرة ندى على وريقة زهرة بنفسج . اخرج الميت راسه ونظر الى مخلفاته بلا يسمعه احد ، هب من الصندوق يريد مبالاة ثم نحو جمع نسوته المشدوه . صرخ المشهد الاخير انا حزين ، لم أن يقفز . برز له ثلاثة من خلف الصندوق وقفوا امامه ، ارتعب وتخاذل .. دفع احدهم راسه الى داخل الصندوق واغلقه وصاح فيه بالسكوت . صاح من داخل الصندوق :

— دعوهم مشهد الحب الاخير ، حرام عليكم .

قهقه الثلاثة وتغامزوا وقالوا ساخرين . ما زال يغني من جنون العظمة . انطلقوا الى مقدمة العربة والسياط في ايديهم . ولول من داخل الصندوق . سوف ترون ، سيتبعونني لن يتركوني سيبكونني طوال العمر . حرمتموني من كل شيء والتمتم عليّ السوء كله ولكن حبهن هو الشيء الوحيد الذي لن تستطيعوا منعه مهما اسرعتم بالعربة .

اتسعت طاقات انوف الخيل ولم يعد الهواء يكفي ملء جوانب رئة واحدة .

افاقت النسوة ، بهتن ، عجبن ، انعقد في قلوبهن الحزن . صاحت صديقته في الجمع الحاشد : لماذا توقفتم . يجب ان نتأكد من انه وصل الى لحده حتى نقدم اليه اخر تحية . المدينة من اعلى والعربة بلغت طرفها الايسر وباتت نقطة في بحر من الضباب والنسوة في الجانب الايمن بحماسة رحن يعدون علهن يلحقن بالعربة ، انكفأت احدى النسوة وهبت فلا تفوتها اخر لحظة . خرجت العربة من بين جدران مزقتها طلقات المدافع والقنابل .. مرت بجوار محل منهوب مفلس قيل انه سرق عندما كان الميت ماضيا في غيه ووسط نسائه متهدلا . ارتجت العربة وهي تصطدم بجثث لشباب متناثرة في الطريق شيع انهم ولدوا في اعقاب رقصاته المجنونة التي كان يحييها مع نسائه ثم القاهم في الشوارع لان الزار عمل صعب لا يفهمه الا النساء .

صرير عجلات العربة وحوافر الخيل يصم الاذان .

اقتربت العربةمنطريق طويل متعرج يؤدي الى خارج المدينة وقفت على اعتابه مجموعة من النساء العجزة تحمل كل منهن بلطة لحراسة الطريق او كل من يقترب منه من غير النسوة . دخلت العربة في الطريق وساد سكون شامل .سبحت العربة في ضباب كثيف ينساب من حولها كجدول ماء . ثم استوى الطريق واصبح لينا وبدأ الضباب يتراجع ويذوب ثم انقشع وكشف العربة وسط سهل اخضر منبسط مرصع بالورود ولاحت الشمس من وراء الافق وسقطت اشعتها على افرع نخلة وعلى العربة ومقابضها النحاسية وسروج الخيل فبرقت ومضت ترفل في ضوء باهر الى حيث تنكشف الحقيقة دائما بعيدا عن المدينة الخربة .

جذب الثلاثة اللجام فخفضت الخيل من سرعتها .

انزاح غطاء الصندوق واخرج الميت راسه ونظر بحذر نحو مقدمة العربة ثم استوى جالسا وحدق في الافق بصعوبة لشدة الضوء الذي يغمر عينيه . ابتعدت المدينة وبدت في حجم القرش . نظر نحو الثلاثة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحزن فبادلوه نظرات ساخرة ثم انطلقوا يضحكون . ثار ، بصق عليهم ، وراح يضرب جوانب الصندوق براحتيه غيظا ، لم يهتموا به ومضوا في طريقهم ، ولفحت النسمات العليلة جسده ورويدا رويدا زايله غضبه ومد يده امامه متلهيا والمدينة تتضاءل، وراح يتسلى بالنظر اليها من بين فرجات اصابعه فلا أمل ان يعود اليها وقد قرر ان يلقى حتفه بارادته بسبب أولئك الثلاثة الذين اهلكوه ثم قضوا عليه قضاء مبرما بفعلتهم الاخيرة هذه الجنونية . نظر اليه احدهم وقال له : اخيرا هدأت .

ولم يجبهم ، شرد في الماضي لحظة قراره ان يرحل وقد كان الرحيل خروجا من الاكذوبة التي عاشها وطلاها على نسائه والتي من كثرة لوكهن لها اصبحت عقيدة ، وتذكر البداية . كيف يخرج الانسان من الحضيض والفقر والجوع ، وأجاب على نفسه مرة : لو كان الزار والغيبوبة يعوضان الانسان خواء بطنه ، وقرر أن يجرب وحل عليهن بعد ان طرد الذين قبله وقال لهن ... الجنة .. وسألوه ... كيف نصل اليها .

فأجابهم بالزار بالغيبوبة عن الواقع وصدقوه فالذين جوعوهم مضوا وكان هو أهون الشرور كان واضحا انه مؤمن بما يقول ايمانه بوجوده ومع اول رقصة زار تشنجوا ظلوا نهارا بأكمله غائبات عن الوعي. وانهمك معهن يمارس ابشع انواع الجنس وكان يسألهن وهن تحت اثر اللذة هل وصلتن الى الجنة ؟ وكن يجبن نعم نحن الان في الجنة .

ولاقت الاكذوبة صدى هائلا ولم يصدق وجرت النساء ذكورهن اليه غير مصدقات وجربوا الزار والغيبوبة وأفاقوا ليرتدوا جميعا ملابس النساء ويحلقوا شعر صدورهم وسواعدهم. واصبح الرجل الوحيد في حجرة الزار وصدق الاكذوبة هو الاخر في النهاية من فرط اخلاصهم لها . كان يصرخ فيصرخون يتمرغ فيتمرغون معه وانطلقوا ينقلون الاكذوبة بالمزمار والدفوف وكل انواع المخدرات من افيون وكوكايين وحشيش وكلها اشياء لم تكن تتضمنها الاكذوبة لكنهم اضافوها ولم يعودوا يفكرون في شيء الا في الجنة ، وباتت الحجرة الواسعة التي بنوها فوق الخرائب تزلزل تحت تشنجاته ورقصاتهم ، وصدق انه نبي .

وفجأة توقف كل شيء وانهارات جدران الحجرة . كيف .. لا يدري ، كل الذي يعرفه وقرر المهندسون ان اساس الحجرة كان خربا ولم ينبهوا اليه وعندما اتي كلب وتبول عليه سقط. وافاق على نفسه هو وهم مرة اخرى في العراء والخرابة كما هي والجوع ينهشه والصقيع سيقتلهم وبكى خائفا منهن واعترف لنفسه ولهن بالاكذوبة وهم ان يمضي ولكن حدث مالا يمكن لعقل تصوره فقد قررن ان يستمروا معه في ممارسة الزار حتى النهاية ولم يصدق وأجابوه ان الزار اصبح غذاءهم الروحي حتى ولو كان في العراء . وانطلقوا من جديد وفي هذه المرة صدق انه اله فقد بلغ حبهن ما لا يمكن وصفه ولكنه لم يستطع هذه المرة ايضا ان ينكر على نفسه ان الاكذوبة لا يمكن أن تستمر في العراء فالصقيع اخذ يأكله وينهش صدره من كثرة ما بذل حتى ينجح ويظل على راسهم وبدأ يتألم ويسقط منهم مريضا. وفي كل مرة يجدون في البحث له عن دواء حتى يقف على قدميه ويمضي معهن في ممارسة الزار لكنه لم يعد قادرا وكلما وقف على قدميه سقط واصبح يجلس وحده يبكي ويصرخ ، لم يكن يقوى على مواجهتهن باكيا خائفا ان يفقد الوهيته . ففي احلك الاوقات كان يضحك ولا يرونه الا مبتسما ، بات كل شيء كريها ، وضح له انه فقد القدرة على الاختيار لذلك قرر أن يعجل بأجله ، بأن يزيد من ممارسة الزار .

افاق من تفكيره على صوت احدهم متهكما : اقتربنا من اللحد لا تحزن .. نظر اليهم باكفهرار وصاح : الا يحزن هذا وانتم الفقر والجهل والسرقة ثم تفرقون بيني وبين نسائي قبل ان يلقين علي النظرة الاخيرة ويبكوني طويلا ؟ وصمت ثم اردف : ولكنني واثق انهن سوف يحضرن ورائي رغما عنكم ينوحون علي مدى الدهر .ضحك الثلاثة ملء قلوبهم وازدادت لسعات السياط فوق عجيزة الخيل فلم تعد حوافرها تلمس الارض .

اجتازت النسوة اعتاب المدينة في الخط الفاصل بين العمار والعراء ووقفن يلتقطن انفاسهن وارتفعت الاكف فوق الحواجب تدقق النظر ذهابا وايابا في الخلاء والحوذي وراءهن يلطم خده ويندب حظه في هذا اليوم الاغبر . تقدمت صديقته وفي يدها الحجاب الذي سلمه اياها قبل موته وصوبت بصرها في حدة وصاحت :

ها هي — وصحن — اين ؟ . فقالت : هذه التي تتحرك قبل الربوة. وكان كل همها ان تبكي مثيرة النسوة حتى يتبعنها فقد كان هذا هو هدفها منذ زمن بعيد .

وعلى ربوة عالية لاحت نقط بيضاء متناثرة من القمة الى السفح ،ولحظة بلحظة اتضحت معالم القبور . تلاقت عيون الثلاثة ببريق النصر واندفعت العربة نحو المسير ودانت السور ومرت بجواره لا تلوي شيئا نحو الباب الكبير . كان حفار القبور على أهبة الاستعداد قلقا ، لمحها اخيرا ، وعلا صرير الباب ، وفتحه على مصراعيه وفي التو مرقت كالسهم وتلاقت عيون الثلاثة بعيني الحفار وغمزوا اليه ان يعجل . هرول وراءهم وسط اشجار الزيتون والورود التي تنبت مسبحة بسماد الجثث نحو القمة حيث يشمخ قبره المنشود على راس القبور ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوانبه من الرخام الاحمر ونقش اسمه بماء مذهب حتى يليق بهيبته . . جلس الميت كسيفا يحدث نفسه والشك يداخله بعد ان غابوا عنه ولكنه عاد واقنع نفسه انهن لا بد آتيات وراءه انهن يحببنه ويقدسنه وراح يتصور حالهن بعد دفنه ، كيف سيمزقن ملابسهن عليه كمدا وكيف ستنهار صديقته من بعده ، وكلما لمح شيئا بعيدا يتحرك هب واقفا ودقق النظر . قطعت النسوة افدنة منسابة من اعواد القمح الذهبية وارتفعت الشمس مقدار هامة فكست الوجوه بألوان رمزية وسال العرق ودميت الكعوب واطراف الاردية اتسخت . كلهن مشدودات . وصديقته تشد من ازرهن .

اختفى الثلاثة من فوق العربة . شمر الحفار عن ساعديه وبصق في كفيه وارتفع المعول في الهواء .

وصلن الى باب المدافن الحديدي اخيرا وتدافعن . صف من النمل . زنابير . صوب القبر دون وعي التصقن الواحدة الى جوار الاخرى في حلقة وانفاسهن متقطعة ولم يبالين بالعرق الذي يتصبب بين فلقات اثدائهن ، يحدقن ، كان الحفار قد غاص الى قمة راسه وقبل ان يتراجعن ليبحثن عن الميت وقبل ان يفيق الميت من سعادته الغامرة بمجيئهن ، قفز الحفار خارج الحفرة وازاحهن بقسوة فابتعدن مذعورات وهو يهيل التراب من جديد في الحفرة .

صرخن : اين الميت ؟ نظر اليهن بخبث وقال : دفنته ايتها النسوة . صرخوا اننا لا نرى شيئا . اجابهن بهدوء : انه في الحفرة .. ولولوا : اننا لا نرى شيئا في الحفرة . قال الحفار بثقة وقد ملأ التراب الحفرة دققوا سترونه ، هل من المعقول ان اغلق قبرا بدون جثة ؟

وقف الميت في الصندوق وشد قامته وعقد ذراعيه وتابعهم والدنيا لا تسعه ورمق الثلاثة المختفين وراء العربة بازدراء وراح يضحك منتظرا عندما يلتفتن ويجدنه ما زال بالصندوق وعندما يكتشفن الخدعة . وهام في صفوف القبور حيث يرقد تحت السطح الاف الاجساد ، كثير منهم ماتوا في عهده ، نظروا اليه من قبورهم وبادلوه الضحك من تحت الثرى ، ضحكات دوت وجلجلت .. اخترقت الضحكات اذان النسوة ، التفتن وراءهن وهو على احر من الجمر .. لهذه اللفتة وجدوه منتصبا امامهن راوه رؤيا العين واقفا في الصندوق ولم يتمدد في قبره .

برقت عينا صديقته بريقا غامضا وفي عينيها نظرات تشف وصاحت مفاجئة النسوة الذاهلات ، وهي تخلع ايضا ملابس النسوة حيث لاحت تحتها ملابس كودية .

هل يعقل ايتها النسوة ان يغلق الحفار قبرا بدون جثة ؟ واجهتهن بملابس الكودية فسقطن جميعا تحت اقدامها . وارتفعت عقيرتها ملوحة نحو الحفار ، الحفار صادق . نظروا الى الكودية الجديد والى الميت المنتصب في الصندوق وعلت همهمات مضطربة ثم ارتفعت صيحات التاكيد من الواحدة وراء الاخرى . نعم الحفار لا يكذب ان الحفار لا يكذب .. لان الكودية الجديد لا يكذب .

والميت في الصندوق ينظر مشدوها .

والثلاثة يمسكون بطونهم من الضحك ، وكلما هم الميت ان يقفز ويذهب اليهن منعوه . سوى الحفار الارض وشقشقت العصافير ونعق البوم فوق الاشجار . وهم الحفار مبتعدا لكن الكودية الجديد وخلفه النساء اقتربن قاطعات الطريق عليه وبادل الكودية الحفار نظرة ذات مغزى ففهم الحفار . وتساءل الحفار : لماذا تسددن على الطريق خذهن وعودوا الى بيوتكم ، كل شيء ذهب وانتهى . قال الكودية وهو يتصنع الالم : نريد نتاكد . وسقطت على خده دمعة تمساح . قال الحفار: بعد كل هذا ولم نتاكد ؟. فقالت احدى النسوة : اقسم لنا بشرفك ان كل شيء قد انتهى . اجابهن الحفار وهو يتابع الثلاثة وهم يغمدون خنجرا في صدر الميت ، اقسم لكن . قال الكودية : لا نصدقك . قال الحفار وهو يزيحهن مبتعدا : — اليست هذه خصلة من شعره ؟

وفجأة استقلت النسوة على ظهورهن يصفقن ويزغردن قبلن بعضهن بعضا . بهت الحفار وصاح: اتفرحن ؟

فصاحت احدى النسوة : ولما لا فقد ذهب واحد يشبه من قبله .

ثم تعروا من كل ملابسهن رجالا ونساء وانطلقوا يجرون عرايا وسط القبور واختفى كل زوجين خلف قبر صائحين : الحي ابقى من الميت . مارسوا الحب حتى الثمالة وانتظر الكودية حتى تمرغوا في التراب نشوة ثم قفز فجأة فوق القبر العظيم ووقف وتنهد بارتياح فقد غابوا عن الوعي وصرخ صرخة مدوية وصاح :

الحمد لله .. الحمد لله .. كان شعره قد استطال حتى استرسل فوق كتفيه ، افاقوا جميعا ووقفوا مشدوهين مخدرين ومتلذذين . صرخ: البسن جميعا ملابس النساء كفاكن لعبا .

فانطلقن يرتدين ملابسهن بلا وعي واجسادهن ما زالت ترتعش سكرا .

صاح سأوصلكن الى الجنة .

سألوه : كيف ؟

قال : بالغيبوبة والزار .

ومضوا وهو وسطهن يمارسون طقوس الغيبوبة اولا .. ثم الزار .. عائدين الى المدينة الخربة .

الدم ينزف .. اغمض عينيه .. فتحهما .. خرج الكودية الجديد من مجال الرؤيا .. كل شيء يغيب .. ويصبح لا شيء .. ظلام يسود عينيه المفتوحتين على مصراعيهما .

فايز غالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باسمك يا من مت ومن سأموت



بقلم :
جمال الدين
عبد العزيز
القصاص

ماذا لو تلتف الاغصان جميعا
حتى تغدو ياقوتة شعر دريه
ماذا لو تنتهك الالحان المحجوبه
تتعرى كل الاشياء المخضوبه
تنتفض الحقب الساكنة المنكوبه
تتحول ايقاعا دمويا اعجوبه

● ● ●

ماذا ... يا ساده
لو يخرج ((يونس)) من بطن الحوت
لو يكسر ((أحمس)) هذا التابوت
لو يقهر تنتالوس جلاده
هل يهتف ((حوريس)) كمثل العادة
((باسمك يا من مت ومن سأموت
((باسمك يا من مت ومن سأموت
اعلن درجات الموت الاول في صحف اللاهوت))
لكن كتاب الفيضان الاسمر لم يخرج بعد ،
لم نسمع عنه ، لم ينشر
قد اكلته الافعى والسوس

● ● ●

وفي كل حقل ودار
نوافير جوع وعار
ولكننا ...
ومن طول ليل الدوار
نصوم قنوطا وحيره
ويا اسفا ...
وحين نرخي اكف التشهي
ونجثم غيظا وخوفا
على عتبات التلهي والاحتراق
وياتي المساء
نواري أسانا ..
نكفنه في اختلاق
تدغدغنا رغوة الانزلاق

تجرجرنا في اشتهاء
لبئر الممات
فيا للحصار ... ويا للشتات

● ● ●

دمي مصحف ضيعته الجهالة
في كل بيت
وخمر الفصول .. وصوت
وسيف التشبع
بأرض المجاعة
وطمي يلقح رمل العناصر
وسوط بليل الضراعة
وسخط على شرفة الملكة
فيا هذه الابجديه
اخلعي الاقنعه
اخلعي الاقنعه
دمى زوبعه ،
ومد الصعود
وحبل التضاريس والمعمعه
اخلعي الاقنعه
اخلعي الاقنعه

● ● ●

هو الجرح سكينة في صدور الليالي
هو الجرح باق هوان السؤال
وحين تموت الاجابة فوق الشفاه
وتاكل في حموة الشك ..
مصائرنا الالسنه
وتشرب حتى الثمالة ..
ضمائرنا المؤمنه
تشرب .. تهرب
تهرب ... تهرب
من يدنا الامكنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسبوليو

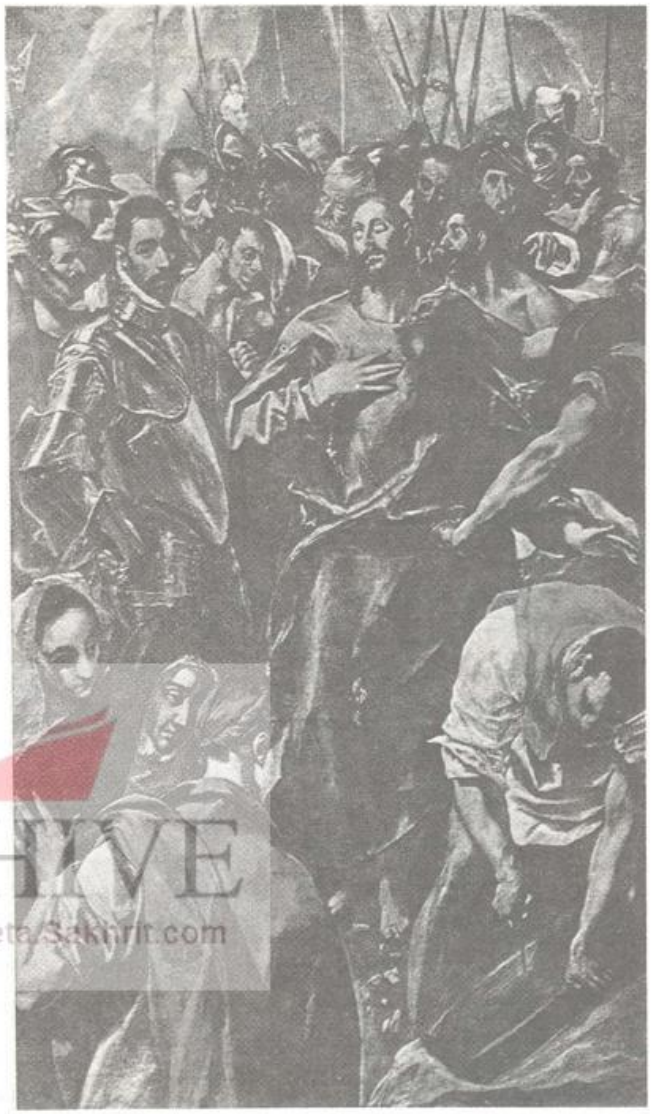
" المسيح يجرد من ردائه "

لوحة زيتية للرسام

ال جريكو

بقلم سيوكينيث كلارك

ترجمة نبيل قاسم

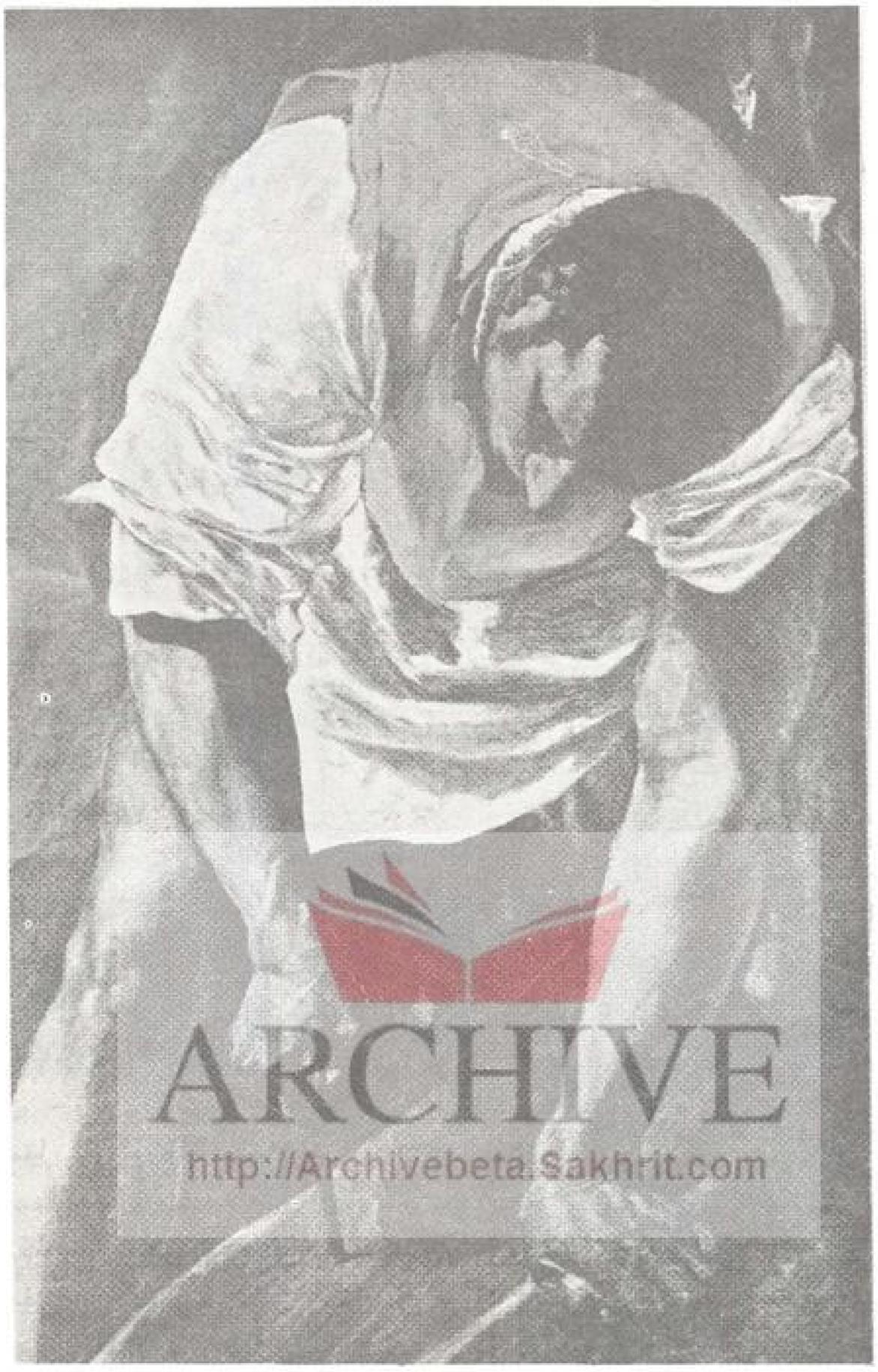


● ـ الاسبوليو (المسيح يجرد من ردائه)

لوحة زيتية منفذة على القماش للرسام دوميتكوس ثيوتوكوبولس المعروف باسم ال جريكو (١٥٤١ ـ ١٦١٤) . مقياس اللوحة : ٥ر١٠٧×٦٨ بوصة . رسمت خصيصا للمذبح العالي في غرفة الاشياء المقدسة بكاتدرائية توليدو في خلال عامي ١٥٨٧ ـ ١٥٧٩ ، حيث ظلت فيه حتى اليوم . وقد ظلت تعتبر واحدة من اكثر أعماله التي تحظى بالاعجاب . وقد رسم ال جريكو ١٧ صورة زيتية منسوخة عن اللوحة الاصلية . والصورة المنشورة هنا رسمت عام ١٥٨٥ ، وهي احدى هذه المنسوخات ومعروضة في متحف الفن بميونيخ .

★★★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة الغلاف

● ـــ رجل يعد خشب الصليب (تفصيل من الاسبوليو)

انها تتألق كجوهرة ضخمة . وما اكثر ما تغص الكاتدرائيات الاسبانية بالجواهر ـــ من التيجان وكؤوس القربان والمذابح المغطاة بالرقائق ـــ غير أن فخامتها تبعث على الضيق كالترنيمة الرتيبة البطيئة . وجوهرة ال جريكو هذه صرخة مشبوبة أيضا . هذه القطعة الياقوتية الكبيرة التي في لون التوباز والازرق المخضر والكوارتز الدخاني ، هي أيضا ثوب المسيح الخالي من الخياطة والذي يوشك أن يمزق من فوقه . ان العاطفة التي شعرت بها حينما وقفت مشدوها أمام الاسبوليو داخل غرفة الاشياء المقدسة في كاتدرائية توليدو هي مزيج من الاستثارة الحسية والاستثارة المشفقة والمروعة والتي أشعر بها عند قراءة قصائد معينة لكراشو وجيرارد مانلي هوبكنز . وذلك الغنى والتنوع اللوني في المواد ، يبعثان داخل المرء ـــ من خلال تحديهما للحواس ـــ ومضة استبصار روحي لا يمكن أن يحققه التفكير العقلاني المتعمق .

وتخطر فكرة المقارنة بالجواهر على بال اي ناظر الى الاسبوليو ، وهذه المقارنة ليست وهما منبت الصلة ، فنحن نحس أن مسألة اللون وتنسيق الاحزمة

←

المرصعة بالجواهر او المذابح المطلية بالمينا تشغل غالبا ذهن ال جريكو عندما يشرع في أحد أعماله . وبالقدر القليل الذي نعلمه عن الاصول المكونة للرسام ، يمكننا أن نكون على ثقة من أنه نشأ على التقليد البيزنطي في الفن وان كان تأثير هذا على الخيال في لوحاته الاخيرة محل خلاف ، لكنني أعتقد أنه حافظ على هذا المنطلق البيزنطي الاساسي في عمله الفني، فهذا المجال الخاص بالمواد ــ من الذهب والبلور والمينا والجواهر نصف الشفافة ــ يضفي على الفن روعته وقوته على استثارة عواطفنا .

تأثير تيتيان ومايكل انجلو على آل جريكو

وقد شق الفنان طريقه الى أوروبا عن طريق فينيسيا ، همزة الوصل بين الشرق والغرب ، لكننا نجهل ما يتعلق بعمره آنذاك . فنحن لا نعلم عنه شيئا حتى العاشر من نوفمبر ١٥٧٠ عندما اوصى به رسام المنمنات جوليو كلوفيو استاذه الساندرو فارنيز باعتباره شابا كريتيا وتلميذا لتيتيان . فهل يعني هذا أن تيتيان ، وهو في التسعين من العمر ، وله رسم منظم جيدا ، قد قبل الشاب الكريتي تلميذا له ؟ أم أن هذا يعني فحسب أن ال جريكو كان هو المعجب المخلص لتيتيان ، مما سيوصي به لدى الساندرو فارنيز ؟. الحقيقة الثانية يمكن الا تكون محلا لاي تساؤل . ان اللوحتين الاخيرتين لتيتيان ، التتويج بالاشواك ، والبشارة ، واللتين رسمتا ــ احتمالا ــ عندما كان ال جريكو في فينسيا ، فيهما جمال ملتهب للالوان يأسر العواطف بالطريقة التي كان ال جريكو ينظر بها للالوان . وكان تيتيان يعني له الشيء الكثير أكثر من تينتو ريتو وباسانو ، رغم أن قليلا من حيل النمطية التي تظهر في أعمال الثلاثة تؤدي الى توهم التشابه . وما نعرفه عما شاهده في شمال ايطاليا أقرب الى الحدس أيضا ، رغم انني اظن انه شاهد بانتباه أعمال تيبالدي وربما كوريجيوس ايضا . ذهب ال جريكو بعد ذلك عام ١٥٧٠ الى روما . وكان مايكل انجلو قد توفي منذ ست سنوات ، وكان الفن الروماني خاضعا لتأثير عبقريته . فاقتبس الفنانون من تخطيطاته شروحا للجسم البشري وأوضاعا وملامح استخدموها دون اقتناع اصيل بها . والى ما قبل العصور الوسطى المبكرة لم يكن الفن الاوروبي قد ابتعد كثيرا عن الحقائق البصرية والمادية . وهذه اللاواقعية العظيمة مثل عظمة مصوري الايقونات الكريتيين ، قد راقت ال جريكو اكثر من الفيض الاصم لبول فيرونيز.

ومن ناحية ما ، لا بد أن النمطيين الرومانيين بدوا لا يلائمونه في الوانهم . وهم باتباعهم لتقليد استاذهم مايكل انجلو ، اعتبروا اللون مجرد غطاء للشكل وامتياز للحواس بحيث انتقص من جدية الفن العالية . وربما كان هذا سبب استخفافه بمايكل أنجلو ، فحتى لو لم يقل أن بوسعه اعادة رسم « الحساب الاخير » بمزيد من الذوق ودون فقدان للتأثير الذي تحدثه ، فقد قال بلا شك أن أنجلو كان فنانا جيدا وان لم يعرف كيف يرسم ، لكنه لم يتخلص من شيطان انجلو الغاضب . فأشكاله العارية ، المتمددة ، والمقلوبة ، والمفرطة في قصرها ، منقولة مباشرة في الغالب من لوحة الحساب الاخير المزدراة ، ولولا رسوم انجلو الجصية الحائطية في كنيسة ياولين لاتخذت الاسبوليو شكلا مختلفا . اشعر بهذا في الرجل المنحني لاعداد الصليب ، والثلاث نساء الطالعات من أسفل الاطار ، وفوق كل هذا في اثر الحياة الضاغطة حول الضحية ، والتي هي ايضا موضوع لوحة صلب القديس بيتر لانجلو . وحين يرد على خاطري ذكر هذا العمل الرفيع ، بتلك الحلقة من البشر المعتقلين في معسكر اعتقال صحراوي ، أعيد النظر الى الاسبوليو لادرك انها مختلفة تماما عن كل التصوير الايطالي .



● ــ القديسة فيرونيكا والمنديل المرسوم عليه وجه المسيح لوحة على القماش ، ١٥٩٠ ــ ١٥٩٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لاوكون (الكاهن الطروادي)
لوحة زيتية على القماش ، رسمت عام ١٦١٠ . المتحف القومي للفن ، واشنطن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويكمن أول فرق بينهما في تناول الفراغ بدلا من الاشكال الجامدة التي تشغل مساحة محددة ، كما كان الامر في التصوير الايطالي منذ جيوتو ، وحتى الان كما في رسم المناظر المبهر لتورنتو ، تملأ اشكال ال جريكو كل سطح اللوحة مع اسطح مستوية متداخلة بصورة مسطحة . والاساس التحتي المجرد للوحة — وهذا مكمن قوة أي صورة — وهذا يشبه بيكاسو التكعيبي عام١٩١١ اكثر مما يشبه عملا يتبع تقليد عصر النهضة. والضغوط المتنازعة للاسطح المستوية والطريقة التي يندفع بها احدها فجأة وراء الاخر ، تشد الانتباه الى مركز اللون الاحمر .

تحليل الاسبوليو

وهنا افكر مرة اخرى في الاسبوليو بلغة موضوعها وادرك تماما حيوية خيال ال جريكو . انها اللحظة التي يوشك فيها المسيح أن يجرد من ثوبه الدنيوي الرائع ، والذي هو رمز للمسيح الملك . يتكأكأ حوله عالم الرجال ضاغطا عليه . وينظر رجلان نحونا يقومان بعمل الوسيط على ما يبدو : شخص عسكري غبي مذهول ، وشخص أكبر ذو سلطة يفيض بالعدوان ، وهو يوجه اصبعا آمرة نحو المسيح . وهناك قلة متوحشة من الباقين تشارك في التعذيب بتلذذ ، لكن كثرتهم من الرجال العاديين من شوارع توليدو والحقول المحيطة بها ، ينظرون كما ينظرون عند تصويرهم في مرسم ال جريكو بالضبط ، والامر المزعج هو عدد الرؤوس وتلاصقها في الصورة والتي تصبح حشدا يستاء من عزلة المسيح بعيدا . ذلك أن أفكاره تدور في عالم آخر . والنظرة أو الاشارة المعبرة عن هذا تظهر التقوى المتكلفة لحركة الاصلاح الديني المضادة ، وهي تسبب لي عادة لحظة من الحيرة . وهي لا تسبب هذه الحيرة طويلا ، غير انني أقرر الحقيقة ، فربما كانت احد اسباب قلة الاعجاب بالاسبوليو في خارج اسبانيا

عن روائعه الاخرى .

وفي النصف الاسفل من اللوحة ، وبعيدا عن الحشد ، هناك المهتمون مباشرة بالضحية وهم المريمات ، وكذلك الجلاد الذي يعد الصليب . وفيما بينهما ، تظهر قدم المسيح مصورة برقة متناهية ، ويلاحظ ان الثلاث نساء ينظرن بصورة ثابتة الى الوتد الذي سرعان ما سيخترقها . ووجوههن لا تشف عن اي عاطفة كوجوه الرجال . وهذه احدى السمات الغريبة لهذه اللوحة . وما علينا الا ان نذكر كيف كان يمكن لاساطين رسامي فاجعة المسيح من جيوتو وجيوفاني بيسانو حتى تيتيان ورمبرانت ، أن يتناولوا الموضوع ، حتى نضع ايدينا على لا واقعية خيال ال جريكو الحالمة . وباستبعاد ميل العيون التقليدي نحو السماء ، فان وجوه أشخاصه خالية من التعبير . فهو يشبه مؤلف الدراما الكلاسيكي الذي لا يجد ضرورة في تمييز السمات الفردية للشخصيات المختلفة . وفي الحقيقة تعبر الاشارات عن عواطف أشخاصه ، وهنا تقدم الاسبوليو مثلا حيا ، فاشارة يد المسيح اليسرى التي تمر من تحت ذراع معذبه ، تمنح الصفح للجلاد الذي يعد الصليب .

ال جريكو : فنان الوجد الصوفي والتاثير السحري

تلقى ال جريكو قسطا من ثمن الاسبوليو في عام ١٥٧٧ . وهو الوثيقة الاولى المتبقية الدالة على ذهابه الى اسبانيا واستقراره في توليدو ، وقد يكون عاش فيها بعض الزمن . وقد دخل في نزاع قضائي مع الكاتدرائية للحصول على مبالغ اضافية ثمنا للوحة . وقد شهد الخبير التوليدي اليجودي مونتويا أن الاسبوليو من أحسن اللوحات التي شاهدها ، وقدر لها ثمنا ضخما ، دفعته الكاتدرائية على ما يبدو . ويظهر ان اليوناني الشاب حاز قبول أهل توليدو كفنان عظيم وكأحد امجاد المدينة . وربما طمح الى احتلال مكانة استاذه تيتيان في التمتع بثقة فيليب الثاني ، ولكنه أخفق لان الملك خشي منه بسبب ذلك العمل فوق العادي ، الا وهو (استشهاد القديس موريس) ، حيث فضل الاسلوب المألوف والمادي للاسباني ال مودو ، تلميذ تيتيان . لكن سلطات الكنيسة ظلت ترعى ال جريكو، اما لانه قدم صورا تتصف بالوجد الصوفي ، أو لانه لا يوجد فن متاح افضل منه ، أو لتمتعه بقدرات فائقة. وربما كان لمجموع الثلاثة معا ، لان الدوافع التي تحوط لجنة الشراء عمل فني تكون مختلطة عادة ، وقد اعجبت به أرفع الشخصيات الدينية في عصره ، حيث كانت توليدو وقت حلوله بها مسرحا لاكثر انواع الحياة التصاقا بالروحانية في أوروبا . وقد عاش جونجور أو سرفانتس ولوب دي فيجا في المدينة في وقت ما والتقى بهم ال جريكو . ولا جدال في أن اسلوبه الفائق الغرابة كان نتيجة لانعزاله المحلي (كما هو الحال احيانا) .

وفي نفس الوقت ، يعد استغلال ال جريكو لانعزاله الذي منحه نوعا من رتابة التصوير في الاقليم على مدى خمسة وثلاثين عاما مثارا للخلاف . بل ويمثل الدليل ايضا انه استغل قدرة الرؤيا عنده .وكان مستعدا لتكرار أشخاص الافراد او الموضوعات الكاملة وفق المطلوب عادة كالرسامين الاخرين الذين تواتيهم الافكار باكتمال غير عادي وبجدة — وبليك مثال واضح لهذا — وهذه صفة مميزة للفن ذي الطابع السحري بأكمله : فحالما تغدو الصورة محملة بالمعنى ينبغي — او يجب — الا تتغير . والحيوانات السحرية في رسوم كهوف العصر الحجري القديم تحمل معالم متطابقة في شمال فرنسا وجنوب اسبانيا . ولا شك أن ال جريكو كان راضيا عن تقديمه السحر لمشتري لوحاته . وكانت لديه غرفة كبيرة تحوي صورا زيتية صغيرة نسخها لكل لوحاته . وكان بوسع مشتري لوحاته أن يجدوا مجالا للاختيار . وما زالت توجد مثلا احدى عشرة صورة منسوخة من جميع الاحجام للاسبوليو ، وخمسة نسخ منها تحول نصفها الاعلى الى صورة مستطيلة . وقد تناول اشكال الافراد بنفس الطريقة . واستخدام راس العذراء ثانية في مجموعات العائلة المقدسة ، واليد اليسرى لمريم تبدو مرارا كيد القديسة فيرونيكا وهي ممسكة بالمنديل المرسوم عليه وجه المسيح . وهناك ما يزيد على عشرين صورة



● — المسيح في حديقة الجثمانية
لوحة على القماش — المتحف القومي للفن ، لندن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● ـ المسيح يطرد الباعة من الهيكل (تفصيل من اللوحة)
لوحة زيتية . ١٥٨٩ـ١٦٠٤ . متحف فريك ، نيويورك .



● ـ القديس بيتر يبكي
لوحة على القماش . ١٥٨٦ . مستشفى القديس يوحنا المعمدان ، توليدو .

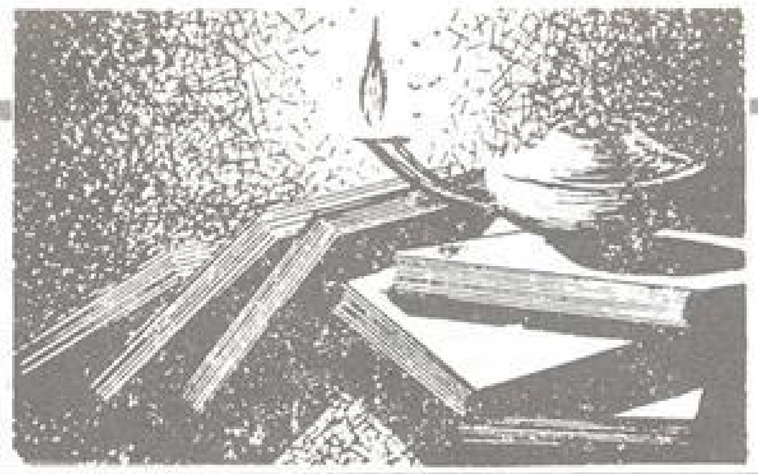
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صغيرة منسوخة للقديس فرانسيس وهو يتأمل ، وأغلبها من عمل مساعديه . وأيا ما كانت جوانب « الحداثة » التي قد تبدو لنا في ال جريكو ، فانه لن يقدم لنا اسهاما في فكرتنا الحديثة عن « العمل الفني » وقد كانت لوحاته جزئيا ذات موضوعات منذورة للدين .. أيقونات تمثل الصورة فيها حقيقة لا تقبل التعديل، وكانت جزئيا سلعا قابلة للبيع .. كان يمكن ان تقدم للبيع جملة ما ان يصنع النموذج الاصلي لها .

لاواقعية ال جريكو ورفض التقليد الكلاسيكي

ومع ذلك فان نقاد عشرينات القرن الذين رأوا فيه المبشر بفن التصوير الحديث كانوا محقين . وجزئيا بسبب من مصادفة وجود اسلوبين غير واقعيين في سنوات تكوينه ـ البيزنطي والنمطي ـ وجزئيا بسبب من نزعة عقلية ميتافيزيقية طبيعية ، كان ال جريكو اول رسام اوروبي يرفض الفروض الرئيسية للتقليد الكلاسيكي . فقد اعتقد ان السطح أهم من العمق ، وتجده قد وضع فجأة رأسا في مقدمة تخطيط اذا كان ذلك ملائما له ، وقد اعتقد أن اللون أهم من الرسم ، وشهر بياتشيكو لهذا ، وبحث عن توصيل لعاطفته بوسيلة تصويرية ، حتى لو تضمنت تشويها أو اختزالا لا يفهم في الغالب . ومنذ العصور الوسطى المبكرة لم يجرؤ رسام آخر على أن يترك لاحساسه بضرورة الايقاع يقود يده بعيدا عن الوقائع المشاهدة ، أو بالاحرى ، عن ذلك النقل الملائم للوقائع الذي أقره التقليد الاكاديمي . وما زالت هذه الصفات المميزة متضمنة في الاشكال المعتادة للنمطية : وهذا هو سبب كونها اكثر أعماله قبولا طيلة ثلاثمائة عام . وفي عمله المتأخر ، عندما طور كتابته اليدوية وعندما انطلقت فرشاته ترسم بعجلة على قماش الرسم الزيتي كعاصفة في السماء ، يبدو لنا الرسام قريبا من مشاعرنا غير المستقرة ، وان كان خياله لم يتوهج بحدة اكثر من توهجه في النار المقدسة لكاتدرائية توليدو .

ترجمة : نبيل قاسم ـ القاهرة



مكتبة البيان

مع كتاب

التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦

* تأليف :
عبدالعزيز محمد المنصور

* عرض :
محمود سلطان

سعدت مرتين بهذا البحث عن « التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ — ١٩١٦ م »، مرة ابان مناقشته في احدى امسيات شهر ابريل من العام الماضي بجامعة الكويت ، لينال صاحبه درجة الماجستير في التاريخ .. ومرة اخرى بعد أن اهدانيه صاحبه بعد طبعه في طبعته الاولى هذا العام ،مشفوعا بكلمة رقيقة طيبة ..

وأن القارىء العربي ليشعر بسرور غامر ، وهو يرى الشباب الكويتي يقتحم مجالات الدراسات العليا ببحوث قيمة، وبخاصةفي مجالات الدراسات الانسانية، سواء الفنية منها او التاريخية ، أو المجالات الجغرافية، أو غير ذلك من مجالات البحث العلمي .

ومما زاد في هذه السعادة أن رأينا بعد ذلك بقليل رسالتين جامعيتين ممتازتين تناقشان ايضا في جامعة الكويت : أولاهما للشاعر الرقيق الاستاذ « خليفة الوقيان » عن « القضايا العربية في الشعر الكويتي » ، والاخرى للقصاص البارع الاستاذ « سليمان الشطي » عن « الاتجاه الرمزي عند نجيب محفوظ » . هذه الظاهرة تسر القارىء ، وتؤنس الباحث ، وتمتع كل متذوق للمعرفة ، لانها — في رأيي — هي الدليل الامثل على النهضة الحقيقية في اي مجتمع من المجتمعات .

وأعود الى كتاب « التطور السياسي لقطر » فأراه جهدا يستحق الشكر ، وعملا يستأهل التقدير .

والكتاب تمهيد ، وخمسة فصول .

وكان التمهيد الماعة جغرافية عن قطر ، اتخذها المؤلف منطلقا لصلب البحث بعد ذلك في فصوله الخمسة التالية .

وتحدث في هذه الالماعة الجغرافية عن مدن « قطر » وأحيائها وقراها ، وحياة اهلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتناول الاوضاع الدولية والعربية في هذه المنطقة ابان تلك الفترة ، والقى الاضواء على دور كل دولة من الدول التي كانت تتنازع النفوذ آنذاك .

ثم تحدث عن «آل ثاني» ووصولهم الى السلطة في «قطر» ممسكا بالخيط من أوله : من بدء هجرتهم من جزيرة العرب الى قطر أواخر القرن السابع عشر الى الفترة التي تناولها البحث (١٩١٦) .

وتحدث الفصل الاول عن « انفصال قطر عن البحرين » بادئا بالحرب الاهلية في قطر في الفترة من ١٨٤٠ : ١٨٤٣ ، ومثنيا بتمرد القبائل القطرية ، من بدء التبعية للبحرين حتى اعلان الاستقلال ، وانفصال قطر عن البحرين ، ثم بالصراع على مدينة «الزبارة» الذي انتهى بتدميرها ، بعد ان كانت مدينة مزدهرة ، حتى استعداد « بريطانيا » للتدخل بقوتها البحرية للدفاع عن البحرين .

وكان الفصل الثاني عن العلاقات بين قطر وبريطانيا ، والظروف التي جعلت بريطانيا تطور علاقاتها بالخليج منذ الحروب النابليونية ، وقمع القرصنة ، ومحاربة تجارة الرق الى موقفها من احتلال الاتراك لقطر ، ومحاولتهم الاستيلاء على البحرين ، والاتجاه نحو الساحل العماني ، وانتهى الفصل بانهاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوجود التركي في قطر ، وبالقاء الاضواء على المعاهدة بين بريطانيا وقطر ، التي اعلنت فيها بريطانيا حمايتها على قطر سنة ١٩١٦ .

وكان حديث الفصل الثالث عن علاقة قطر بالاتراك العثمانيين ، وثورة القطريين على السلطة العثمانية سنة ١٨٩٣ ، وأحوال قطر في بداية هذا القرن العشرين .

وجاء الفصل الرابع ليتناول علاقة قطر بامارات الخليج العربي ، متحدثا عن قطر والكويت ، وعن قطر وابو ظبي ، وعن قطر والعديد .

وفي الفصل الخامس والاخير كان الحديث عن علاقة قطر بنجد، ابان حكم السعوديين ، وعلاقاتها بحكام حائل ، ثم انتهى البحث بملاحق الوثائق والمعاهدات والكتب التي اعتمدها المؤلف في بحثه .

والبحوث العلمية ليست تسلية لازجاء الوقت ، او ترفيها كتابيا لملء الفراغ ، ولكن البحث العلمي مشقة يعرفها اصحابها ، وجهد لا يعرف قيمته الحقيقية الا من عاناه !

لا يدرك الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

وعندما يتصفح قاريء عادي كتابا عن تاريخ قطر السياسي ، مثل الكتاب الذي بين ايدينا يظن للوهلة الاولى انه مجموعة احداث رتبها الباحث ، ليؤلف منها بحثه وحسب .

ولكن البحث العلمي — كما قلت — تتبع دقيق لكل حادثة ، وبحث مضن عن كل وثيقة ، واستقراء مؤكد عن كل مصدر ، ومقارنة بين ذلك كله للوصول الى ما يطمئن اليه الباحث ، ويرتضيه ضميره العلمي .

وعندما يكون البحث عن « التطور السياسي لقطر » في فترة لم تكتمل فيها عوامل الاحتفاظ بالوثائق التاريخية او تبويبها ، وهي الفترة التي عالجها المؤلف (من ١٨٦٨ : ١٩١٦) .

عندما يكون ذلك كذلك تتضاعف المشقة ، والجهد والضنى والبحث .

ولكن باحثنا الفاضل كان له من الجلد ما مكنه من اخراج عمل يمكن ان نقول عنه : « متكامل » ، وقد استعان على ذلك بسفره الى قطر ، عله يجد وثائق يستعين بها ، ولكنه لم يجد ما يروي صداه ، بل وجد قطرات على السنة الشباب هناك ، لم تخرج عن المعلومات المروية شفاها ، دون توثيق علمي .

ولكنه لم يقنط ، بل استعان بوثائق بريطانية من مكتبة الهند ، ودار المحفوظات العامة ، ومكتبة المتحف البريطاني ، وغيرها ، من مكتبات جامعات مختلفة .. ولم يأل جهدا في زيارة هذه المنطقة البكر ، ليسلط عليها من أضواء المعرفة ما يجليها للناظرين !

وعندما طبع المؤلف بحثه في كتاب عمد — كماقال في تقديمه — الى تجنب الهوامش والحواشي ،ابتعادا بالقاريء الذي يبغي الثقافة عن متاهات الوثائق والحواشي،مكتفيا، بتركها هناك في طبعاتها الجامعية.

وحتى يكتمل لهذا العمل دقته ، التي كان المؤلف حريصا عليها فقد عرض كتابه على « لجنة تاريخ قطر » التي صدرت الكتاب بدورها بما عن لها من ملاحظات .

وبذلك أعطيت للامانة العلمية ابعادها الحقيقية ، وكانت هي المبتغى ولا شيء سواها ..

والكتاب — في رأيي — من حيث الخطة محكم مترابط ، وليس فيه من الثغرات ما نراه في بعض البحوث الجامعية من تفكك وتنافر .

وكان علاجه مبنيا على الوضوح الجزئي أكثر من العلاج المبني على أساس العنصر الزمني .

واذكر ان الباحث برر تفضيله هذا النهج الذي انتهجه — في اثناء كلمته التي قدم بها بحثه للجنة المناقشة — بأنه أراد أن يتجنب الغموض الناشيء عن تداخل الاحداث .

أما أسلوب الكتاب فهو عربي سليم العبارة ، محكم الديباجة ، متين النسج .. ولا اظننا نطلب من باحث مؤرخ اكثر من ذلك ، فحسبه ان يصوغ الاحداث الموثقة بعبارات دقيقة ، وبأسلوب مشرق .

وبعد ،

فهذه ومضة ضوء على كتاب « التطور السياسي لقطر » ، ودفقة تعريف بما حواه من جهد ومشقة ، اثمرا عملا بناء . وانه لكتاب يستأهل ومضات وومضات ودفقات ودفقات .

وسيرى القاريء بنفسه انه عمل بكر شاق ، في منطقة يتطلب العمل فيها عزائم الرجال ، وجلد الباحثين ! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع كتاب

« التعليم المصغر »

تأليف د. دوايت الن - و د. كيفين ريان ترجمة: صادق عودة - د. محمد الخوالدة

عرض : عبدالكريم الخديلة

١ — **بين يدي الكتاب** : كتاب « التعليم المصغر » ، كتاب حديث الطبع والتأليف وحديث الترجمة تأليف الدكتور « دوايت الن » والدكتور « كيفين ريان » وترجمة الاستاذ صادق عودة والدكتور محمد الخوالدة ، ويقع الكتاب في ١٧٦ صفحة من القطع الكبير ضمن سبعة فصول ، يبتديء بمقدمة وينتهي بثبت المراجع والدراسات وملحق بالتجارب ، والكتاب ترجم في نيسان ١٩٧٥ م .

٢ — **المقدمة** : من خلال مقدمة المعربين والمؤلفين نلمس وندرك أن التعليم المصغر بحث رائد في المجالات التربوية كالتدريس وتدريب المعلمين والمشرفين لانجاح العملية التعليمية، انه اسلوب قبل واثناء الخدمة ، يهدف الى تنظيم للعلاقة السلوكية بين المعلم والمتعلم ، فالتعليم المصغر سهل ولكنه مر بظروف صعبة خلال مراحل تطوره وتطبيقه ، وقد نجح في مراكز التدريب كأسلوب تطبيقي وتدريبي .

٣ — **الفصل الاول**: يرى المؤلفان أن فكرة التعليم المصغر فكرة يكمن جوهرها في انه تعليم حقيقي جدي ولكن بوضع مصطنع يتعاون فيه المعلم والمشرف مع عدد قليل من التلاميذ ، فيقلل من تعقيدات الموقف التعليمي ، مركزا على التدريب من اجل انجاز مهارات تعليمية في زمن معين فهو اداة مركزة ووسيلة تدريب ووسيلة بحث ، انه يعتمد اسلوب العرض والشرح والاسئلة ثم التسجيل على الفيديوتيب ثم عرض الفيديوتيب للتعرف على نقاط الضعف ، لممارسة النقد الذاتي وبهذا يكون طريقا جديدا لعملية الاشراف ، ليصبح الاشراف مساعدا للمعلم لا تقييما .

٤ — **الفصل الثاني** : تبرز لنا في هذا الفصل الجهود التمهيدية لتعليم المهارات عن طريق تزويد المعلمين المتمرنين بممارسات في التعليم قبل دخول المدارس ، فتطورت الاساليب لمساعدة هؤلاء المعلمين وتهيئة ظروف التدريب وذلك لانجاز وتحقيق مهارات معينة والتدريب على معالجتها مثل تنويع الحوافز ، المقدمات ، الخاتمة ، الرموز ، التعزيز ، الاسئلة ، الطلاقة ... الخ من خلال اسلوب التفاعل والذي يوضح لنا ثلاثة انماط منه « المعلم — المجموعة » و « المعلم الطالب » و « الطالب — الطالب » . على أن يستخدم المعلم الحركة والاشارة والتعبيرات والتشجيع والتعزيز وان لايكون خطابيا ، أما عن فوائد اسلوب المهارات التعليمية فيريان ضرورتها وفائدتها لكل من المعلم والمشرف والمدرسة ومعاهد التدريب اذ تؤدي الى تعرفهم على انماط السلوك التي تكون تلك المهارة وبالتالي تجعل من المشرف مساعدا لا مقيما . كما ان استخدام الفيديوتيب يعطي صورة اوضح لانواع المهارات ونقاط الضعف فهو متيسر ويمكن اعادة استخدامه لممارسة النقد الذاتي والنقد التعاوني بين المشرف والمعلم .

٥ — **الفصل الثالث** : ويتعرض المؤلفان هنا لعناصر التعليم المصغر ليعطي فكرة عن قضايا التطبيق العملي ومشكلاته ضمن مرونة التعليم المصغر ، من القرارات الاساسية المتضمنة الاغراض والاهداف الى مناقشة من الذين سيدربون ، وماهي المهارات الاساسية ، وكيفية التدريب والمتابعة ، وما زمن النقد ، ومن سيدرب المشرفين الى الحكم بأننا بحاجة الى اجابة على تساؤلات وبحاجة الى كفايات وتخطيط ودراسة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاننا نتعامل مع الطبيعة الانسانية بكل معانيها وبكل ظروفها فنراعي عامل البرمجة والزمن ، وزمن النقد وفي الحصة عند التلميذ ، المشرف ، المعلم ، لهذا يضع المؤلفان عرضا وشرحا عن انماط التدريب في المركز بحيث يسهل تحقيق اهداف المركز وبالتالي العملية التعليمية وهي :

أ ــ الدرس المصغر .

ب ــ الصف المصغر .

ج ــ الجلسات التدريبية والتجريبية اي ان الدرس مختصر وعدد التلاميذ قليل واتباع اسلوب العرض والشرح والتسجيل والنقد البناء هو الممارسة .

٦ ــ **الفصل الرابع :** وهنا نتعرف على دور فكرة التعليم المصغر وتدريب المعلمين قبل التحاقهم اذ يذهب المعلمون الى المدارس ويراقبون المعلمين المهرة لسد الهوة بين الارشاد في التعليم والممارسة الفعلية في غرفة الصف وأنه طريقة توحد بين طاقات المعلمين المبتدئين والمشرفين واساتذة التربية ، فيجد المعلم ويتعرف على ماهية التعليم ومشكلاته وعلى المهارات التعليمية ومختلف الجوانب السلوكية المرتبطة بتربية الاطفال وتعليمهم .

٧ ــ **الفصل الخامس :** ويرى المؤلفان من خلال استعمالات التعليم المصغر اثناء الخدمة ، انه اذا مااريد للمعلمين ان يبذلوا اقصى امكانياتهم المسلكية فلا مفر من اعطاء التدريب اثناء الخدمة مقدارا كبيرا من الانتباه والوقت والمال ، لذا يجب التدريب كما يجب دعم التدريب المستمر للمعلمين بمواقف واساليب جديدة ، والتعلم المصغر هو احد هذه الاساليب .

٨ ــ **الفصل السادس :** وهنا نتعرف على دور فكرة التعليم المصغر في المجالات المتعددة ، فكما يقول المؤلفان : ان التعليم المصغر ليس مجرد نبات يعيش في موطنه الاصلي لتدريب المتعلمين بل انه مفهوم تدريبي يمكن تكييفه وفق اسس مختلفة ، وهكذا امكن تطبيقه في عديد من المراكز التدريبية على مدارس ابتدائية ورياض اطفال ومدارس ثانوية والكليات والجامعات وتقييم البرامج لتحسين التعليم وقد كانت اعداد التلاميذ والمعلمين والمتدربين والمشرفين ، حتى يتعرف كل منهم على واجباته ودوره ، اعدادا ضخمة .

٩ ــ **الفصل السابع :** وفي هذا الفصل يعرض لنا المؤلفان فكرة البحث والتعليم المصغر ، اذ يشكل التعقيد البالغ للمواقف الصفية العادية احدى العقبات الرئيسية امام اجراء الابحاث المحددة المعالم للعملية التعليمية (الطلاب ، الحصص ، الزمن ، الصفوف ، المعلمون ، المشرفون) ولذلك يقدم التعليم المصغر كطريقة للبحث ، مجموعة من المتغيرات اللازمة لاجراء التجارب ، وهناك ثلاثة انواع من البحوث وهي:

أ ــ البحث عن أفضل الاجراءات لتدريب المعلمين .

ب ــ التحليل المنظم للعلاقات بين انماط سلوك المعلم وانماط سلوك الطالب .

ج ــ البحث الاكثر شمولا في الخطوات التدريبية والتعليم البشري.

ويتبع المؤلفان ذلك باقتراحات لمشاريع وتصاميم بحوث متتالية كل ذلك من اجل ايصال القيمة التدريبية للتعليم المصغر لافضل حالاتها من خلال الاعداد والعرض والتسجيل والنقد والنقد الذاتي والتغذية الراجعة ، وهكذا نجد ان التعليم المصغر هو احد الاساليب التجريبية القليلة الذي بحكم تركيبه يشجع على الجمع بين النظرية والتطبيق والبحث والتدريب والتجديد والتنفيذ .. وقد يمثل الدور التحويلي في التربية .

١٠ ــ **حول الكتاب :** في الواقع أن كتاب « التعليم المصغر » كتاب جديد يطرح فكرة جديدة على الميدان التربوي والتعليمي ، يعرض ويناقش كثيرا من القضايا والمشكلات ويجيب عليها من خلال الدراسات التجريبية والتطبيقية ، انه كتاب ذو قيمة بالغة الاثر اذ يعالج فكرته الاساسية لدى :

أ ــ المعلم المبتديء والمعلم المستمر.

ب ــ التلميذ الصغير والكبير .

ج ــ المشرف المتدرب والمشرف المستمر .

د ــ الصف المصغر .

وكتاب التعليم المصغر جدير بالقراءة والاهتمام والتمعن فهو يستعمل تكنيكا جديدا ، على مسرح الميدان التربوي من خلال العملية التعليمية قبل واثناء الخدمة ، انه « الفيديوتيب » .

عبد الكريم الخلايله

الزرقاء (الاردن)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع كتاب

«الكاتب وعالمه»

تأليف

تشارلس مورجان

ترجمة :
د. شكري محمد عياد

*

عرض وتلخيص :
توفيق محمد عثمان

هذا واحد من الكتب الهامة التي تقدمها لنا المطبعة بين وقت وآخر، والتي تطرح حينا في الاسواق مع غيرها من المطبوعات ، ليكون مصيرها بعد ذلك مخازن الدور الناشرة ورفوف المكتبات .فصحافتنا تكاد تكون خالية من الابواب الثابتة التي تقوم بمراجعة هذه المؤلفات وتعريف القارىء بها ولفت نظره الى أهميتها من ناحية والتركيز عليها باعتبارها أساسا صالحا للنقاش الفكري من ناحية اخرى . وبذلك يقضى تماما على وجهات من النظر كانت خليقة بأن تخصب حياتنا ، وتضيف اليها مزيدا من الضوء .

والكتاب الذي نقدمه الى القارىء واحد من هذه المؤلفات . ومما هو جدير بالملاحظة أن الدراسات التي احتواها كان المؤلف قد ضمنها عددا مختلفا من كتبه . وقد قام المترجم بجهد مشكور في اختيارها ونقلها الى لغة عربية راقية حقا . ويكفي انه وفق تماما في اختيار الدراسات التي استطاعت أن تكفل للكتاب ما يشبه التكامل المنهجي . فالنصف الاول من الكتاب على وجه التقريب يعد مدخلا لتوضيح راي الكاتب في عملية الابداع ، وهي ما يطلق عليها « الخيال المبدع » ، ويحتوي الكتاب بعد ذلك على مجموعة من الدراسات التطبيقية عن « اميلي برونتي » و « توماس هاردي » و «تورجنيف» و « تولستوي » وكذلك الشاعر « بول فرين » ، لينتهي في الجزء الاخير منه بالحديث عن خبراته الادبية التي امتلأت بالملاحظات العميقة والمفيدة عن الكتابة ومشكلاتها وكذلك النواحي الحرفية في فن الكاتب .ولعل من المتعذر هنا أن نقدم للقارىء تلخيصا وافيا لكل ما جاء في الكتاب من دراسات ، ولكنا سنحاول أن نقدم له عرضا لاهم ما جاء به من الافكار وغاية ما نرجوه أن يكون ذلك حافزا له حتى يرجع بنفسه الى الكتاب ، ولنبدأ الان بالحديث عن الخيال المبدع عند المؤلف ، وكذلك العلاقة بين الفنان والمجتمع .

ان وظيفة « الخيال المبدع » هي احداث تغيير روحي ، تغيير القلب ، تغيير طبيعة الانسان . والحافز الى الخيال المبدع ليس حافزا فكريا بل هو صورة من صور الوجد ، فهو عملية متبادلة ونتيجة لقوتين متفاعلتين : قوة الاعطاء وقوة التلقي، وهو يحتاج الى توتر يصل بين المعطي والمتلقي ، والفن هو أحد أشكال ذلك التوتر . ولكننا نجد عند نقاد الفن ميلا مسرفا الى بحثه بلغة المجتمعات الفكرية المغلقة . والنمط المستملح في امتحان الكاتب هذه الايام هو : هل هو حديث ؟ هل يتفق عمله مع روح العصر ؟ هل ينتمي هذا الكاتب الى الحزب الذي انتمى اليه ؟ أهو من اليسار ام من اليمين ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن الخواص المميزة لعصرنا الحاضر كون شقاء الاشقياء نابعا من هذا الانقسام الفكري بعينه ، من ذلك الشوق غير المشبع الى شكل وعقل في الحياة . ان هذا عصر شكاك .. عصر علمي ، تجاوزت فيه معرفة الانسان مدى حكمته ، وتملكه الخوف من القوة المدمرة لمخترعاته التي لم يعد قادرا على السيطرة عليها . هذه هي طبيعة الشقاء الحديث .

والحق أنه ليس مهما ان يكون الكاتب رومنتيكيا أو طبيعيا أو رمزيا، بل أن يكون عمله من اعمال الخيال الابداعي أو لا يكون . وبقاؤه وقوته لا يتوقفان على أي شيء محكوم عليه بمقاييس معاصريه فحسب ، بل يتوقفان على ما في قدرته ان يصبح في المستقبل يبقى وأن يظل ناضر لقه دائما في عقول من يتلقونه .

ان الفن نبأ عن الواقع لا يمكن التعبير عنه بوسائط اخرى . ولكن ذلك الواقع — الكامن خلف الظواهر — عسير على التعبير لسببين راجعين الى قصور اللغة ذاتها . فاللغة قائمة على ملاحظة الظواهر ، في حين أن الواقع هو ذلك الذي يسمو على الظواهر .. واللغة وقف على التمييز بين الاشياء بأعيانها ، تشير الى ما بينها من اختلاف او تشابه ، في حين أن الواقع يسمو على كل وجوه الاختلاف ويتمثل في الوحدة . هذان هما الوجهان الاساسيان لقصور اللغة . وغاية الاسلوب هي انيتغلب عليهما مستعملا اللغة بحيث يستطيع خيال القارىء ، وقد لقح وحمل ثمرة الخلق ، أن يتجاوز اختلافات الظاهر الى وحدة الحقيقة . فما هو الاسلوب الذي يمكن القارىء من تلقى «نبأ الواقع» من خلال الكلمات؟ يجيب المؤلف بقوله ان ذلك يتوقف على شيئين : الشكل والضغط .

فلا بد للفنان أن يقرر ما هو الشكل الذي سيستعمله ، فان فرديته تتمثل في اختياره للشكل الذي يجبأن يعطي بصورة متصلة ، جملة بعد جملة ، شعورا يناظر الشعور الذي تعطيه الاغنية والذي تعطيه الحياة نفسها : بأن النهاية في البداية وبأن ما هو غير كامل يسير نحو الاكتمال. وقيمة الاشكال جميعها انها اذ تعد بتحقيق مالم يتحقق بعد ، فهي تخلق في الانسان ذلك التوتر ، ذلك التوقع والامل الذي هو حافز الخيال . ولكن الشكل وحده لا يكفي ، فهناك ضغط وراء الشكل في الاسلوب العظيم . فأنت تشعر أن كل سماوات الواقع تضغط على عقل الكاتب ، وأنت ترفع بصرك ، وتتخيل وتتفتح امامك سماواتك انت : « انني لا أقول أن اول واجبات الفنان اكمال ادائه تقديرا مني للاسلوب على انه حلية لفظية ، بل ايمانا بأن هذا الشكل وهذا الضغط يطهران روح الانسان » .

ان الفنان يلقح البشرية بفكرة الشكل ، وهو لا يخدرها بل يحفزها لتخيل تلك الاشياء التي لا تستطيع أن لم تتخيلها ان تعرف السعادة أو السلام . وليس الفنان العظيم في العالم للمجد ولا للقوة ، انه هنا لينصت كما انه هنا ليتكلم . حتى تجدد البشرية نفسها خلاله هو ، انه رسول الآلهة المنذور واداتها .

بعد ذلك ينتقل الكاتب الى الحديث عن الفنان في المجتمع . ما واجبه نحو هذا المجتمع ، وما واجب هذا المجتمع نحوه ؟ مواجها بذلك واحدة من المشكلات الكبرى ، مشكلة المحافظة على حرية الفكر ضد هجوم ما يتهددها من اخطار . فلنحاول من أجل ذلك أن نتبين ذلك التيار التحتي الذي تهيئه تلك العناصر الموجودة في طبيعة الفن وفي طبيعة المجتمع . فمما لا شك فيه أن الناس قد وجدوا قبل أن يوجد المجتمع .وأن الفن قد وجد قبل أن توجد المدارس الادبية المغلقة . والحق اننا نستطيع أن نفترض أن الفنان الاول كان ذاتيا، صنع عمله الفني (الاغنية التي تغنى بها أو الصورة التي رسمها على جدار كهفه) ليعبر عن شعوره بالسعادة والخوف ، وبعبارة اخرى كان فنه نابعا من باطنه ولم يكن مقصودا به بادىء ذي بدء أن يحدث اثرا في غيره. ولكننا مع ذلك نعرف لماذا وجد الفن : لقد وجد ليمكن الناس من أن يتخيلوا لانفسهم . ولكن ذلك لا يضع حلا لمشكلة العلاقة بين الفنان والمجتمع ، فقد بقي سؤالان حيويان هما : بأي طريقة يمكن الفنان الناس من أن يتخيلوا لانفسهم . ان كان عند الفن — اولا — درس يعلم فهو أن التعذيب باطل ، وأن الزعم بأن جانبا واحدا من الحقيقة هو الحق نفسه ، وحبس تطلع الناس وطموحهم في زنزانة فكرية ما ، هو الاثم الذي لا يغتفر ازاء روح الانسان .

والفنان ملزم بأن يدرك ذلك . فعندما يسأل : ماذا يمكن الناس من ان يتخيلوا ؟ فانه يجيب مجملا : « وجود الحق » . وعندما يسأل بأي طريقة يفعل ذلك فانه يجيب : « بأن انقل اليهم رؤاي للحق » . فهي رؤى وليست رؤية . ولعلنا نذكر أن « هاردي » سمى أحد دواوينه « لحظات الرؤية » وأنه حرص على أن يبرأ من كل زعم بأنه احتكر الحقيقة فقد كتب : « ليس لي فلسفة ، بل ما أوضحت مرارا انه كومة مختلطة من الانطباعات ، كانطباعات طفل حائر امام عرض ساحر » . لقد كان يقف على قمة يطل منها على التجربة ،على انه لم ينظر الى الشمال فقط ولا الى الجنوب فقط ، ولا الى الشرق أو الغرب فقط ، لقد تأمل منظر التجربة كله على قدر ما طاقت عيناه ، وقال لنا : « انظروا ، ماذا ترون بعيونكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المختلفة » . ونظرنا ، ومع اننا لم نر ما رآه ، فقد راينا ما لم نر من قبل، ولم نكن لنراه لولا لمح رؤيته . ان المبدأ الاساسي والديدن الثابت لكل النظم الاستبدادية هما تجميد الخيال ومنع الرجال والنساء من أن يفكروا لانفسهم . والمبدأ الاساسي للفن هو أن يذيب جمود الخيال ، وأن يمكن الرجال والنساء من أن يفكروا لانفسهم .

وتزداد اهمية اعتبار الفنان ملقحا لروح الانسان لا مروجا لارائه أو آراء غيره ، في عصر من التغير الاجتماعي الجذري السريع . فالميل الظاهر في عصرنا هذا هو تحول الفكر الانساني الى التجمد في قطع متصلبة متشابهة من التقليد العنيف الخائف . التقليد الذي اخترع في ايامنا تلك الكلمة الجاهلة « هروب » الذي يزعم أن الوعي الاجتماعي هو معيار الفن. ان الفنان ليس كاهن المجتمع ولا هو عبد المجتمع ، ولكنه عضو فيه موكول اليه بالذات أن يحافظ على صفات معينة وجوهرية لحياته الروحية . فهو كما العهد به دائما نفس الحياة لخيال الشعب ، الذي بدونه يهلك . ويجب ان يتعلم الشعب في كل مرحلة جديدة من التاريخ كيف يتقبله وكيف يجعل منه حليفا للدين والعلم في سعي كل انسان نحو الحق ، وكيف يتنفس بحرية وعمق في كل مناخ جديد . فان الشعب ان لم يفعل ذلك خنقه المستبدون ، وغاصت روح الانسان في الظلام قرونا طويلة ، وان كانت هذه الروح لحسن الحظ لا يمكن أن تموت .

لذلك كله كان الفن مهنة شاقة ، تتطلب تفانيا ومثابرة وعشقا ، ومن هنا ايضا كان على الكاتب أن يبدأ حياته (واغلب الظن انه يقضيها كلها) في تعلم الكتابة .

والمشكلة أن فن الكتابة يبدو في كثير من الاذهان غير محتاج الى تلمذة وسبب ذلك أن جميع الفنون الاخرى تستند على عملية جسيمة يجب ان يتدرب عليها الصانع ، فلها مواد أو ادوات مادية يجب عليه ان يسيطر عليها . ولها فيكثير من الاحيان قواعد رياضية يجب أن يعرف كيف يطبقها ، وفن الكتابة ليست له عناصر مادية أو رياضية مناظرة . فليست له قوانين المنظور او التوافق ، ولا سلالم تعرف ، ولا أرجل تقذف في الهواء ، انها تلمذة غامضة الى درجة خطرة ، ومع ذلك فثمة جانب آخر تكنيكي في عملية الاثمار ، اشبه باستعمال الفلاح لادواته وتعهده للارض ، وهذا الجانب التكنيكي من حياة الفنان يمكن أن يتعلم ، ويمكن أن يصل بالتعلم الى المدى الذي لا يعود معه تكنيكا بالمعنى الضيق، بل يصبح درسا للاستراتيجية العظيمة في ممارسة الفن .. ثمة شيئان ضروريان لتحقيق ذلك، تدريب النفس،ودراسة الاساتذة الصالحين، بالطريقة الصالحة . فان الكتاب الكبار من اصحاب الرؤوس يفتحون عيوننا ، انهم يمكنون الفنان من أن يرى ويبقون جذوته الاصلية حية فيه. ولكنهم اذا كانوا حرونين او كانت قدرتهم قائمة على صفة فريدة من الترتيل السحري لا على الفضائل التي لا يمكن تعلمها والمشاركة فيها ، فانهم لا يمكنهم ان يساعدوا كثيرا في ازالة نواحي القصور في الصناعة عند من يتعلمون الكتابة ، بل قد يزيدونها. فقد اشتهر « هنري جيمس » مثلا بأنه استاذ في الايقاع المتمهل الذي يطيل الجملة بالاحتراسات والتتميمات ، وبذلك يقوى المعنى اذ يعلقه ، ولكن أولئك الذين يسرفون في احتذائه يعرضون انفسهم لخطر اكتساب تهتهته دون أن يبلغوا ومضات وضوحه . ولعلنا اذا اردنا أن نتعلم كيف نكتب فمن الخير أن ندرس اولئك الاساتذة الذين تتوقف فضيلتهم الى حد كبير على حد احكام العبارة ، ووضوح التعبير واستخدامهم للشكل لا يزينوا ديباجتهم أو يسحروا أو يبهروا قراءهم قبل كل شيء ، بل كوسيلة لتوصيل مرماهم واضاءته على اكمل وجه .

ان الخاصة الجوهرية للتلمذة ،كما يفهمها مؤلف الكتاب الذي بين ايدينا، هي أن تكون حرة . على الكاتب أن يدرب نفسه على كل انواع الكتابة، وأن يطلب القيود الخارجية والضغط الخارجي اكثر مما يتجنبها . فالمبدأ دائما هو ان المعنى ربة يخطب ودها ولا تغتصب . ولا يمكن كسبها بالالعبانيات بل يجب ان تخطب بكل ما في اللغة من وسائل ، وبالحرارة التي يحكمها الشكل وهي لا تستسلم للعنف بل لاولئك الذين يتعلمون كيف يعرفونها ويتأتون لها .

ان مركز تعليمنا كله ولبه وجوهره هو القدرة على التوصيل . وليس الوضوح بكل شيء ، ولكنه الفضيلة التي ان عدمت لم تبق بعدها فضيلة، وسيماء الدجال انه لا يحاول ان يكون واضحا، الا انه يفشل في ذلك احيانا. وقد يفشل كاتب في موضوعات معينة أمام جماهير معينة لانهم عاجزون عن تلقي ما يعطيهم . والفشل اذن منهم لا منه فيجب الا ينزل بكتابته الى مستواهم . لكن ليمتحن نفسه ، لا ليقولن انا فوق المعركة ، انا غير مفهوم وليس العيب في ، فهذا دجل وخيلاء . ان مواد اللغة عظيمة فليستخدمهاكلهاولينحن ليكون واضحا فليس ذلك مستحيلا على العبقري ، ولكنه مستحيل عليه اذا كان لا يهتم بأن يكون واضحا . وكلما كان اسهام الفنان أسمىوموضوعه أبعد وأعسر، كان عليه ان يزيل العوائق ، لا يستغني عن تعلم الكتابة الا الناس الصغار الذين ليس لديهم ما يقولونه.

ـ القاهرة ـ توفيق محمد عثمان ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ما زالت سلطات الغزو الصهيوني في فلسطين ، تعتقـــل المطران ــ كبوشي ــ بتهمة مقاومة الاحتلال » .

الدخول في التحول



شعـــر

احـــمد المصـلح

يأتيني صوتك حين تضيع الاصوات
جذلا كأزيز الفرح الراقص في عينيك ،
الساهرتين على كل الساحات
يدعونـــي ...
أعبر دائرة المطر النازف من كفيك ،
الواعدتين عطاء ،
يكبر فيه الطفـــل ،
وتخضر الربوات
أتسلق أمواج البث ،
وأعمـــدة الصحف ،
الاعلانات مرايا الرعب ،
أصير نبي العصر الغاضب ،
سر المخصب ،
وشوق الرايات
ادخل كل الطرقات الصعبه
أتخطى أسوار العسس الليلي ،
أعانق في العرس الدموي ،
فصول الجدل الرائع ،
بين المـــوت وبين الفريه
تتساقط أغلال المنفى
ينتفض الجرح ،
يحاور خارطة الاشياء ،
يدق على باب الحكمه
يأتيني صوتك والتاريخ ،
المجد الضائع ،
بين النور وبين الظلمه
اعلن في الحفل الكوني ،
حضور الامل الانسان ،
الحب الزمن الوادع ،
بدء التكوين
تتناسل من وهج الآهات ،
جموع الاحباب الفقراء ،
الاحياء الشهداء ،
الموتـــى ،
القتلـــى ،
والمنتظرين
يلـــد الوطـــن ...

اربد (الاردن) ــ احمد المصلح

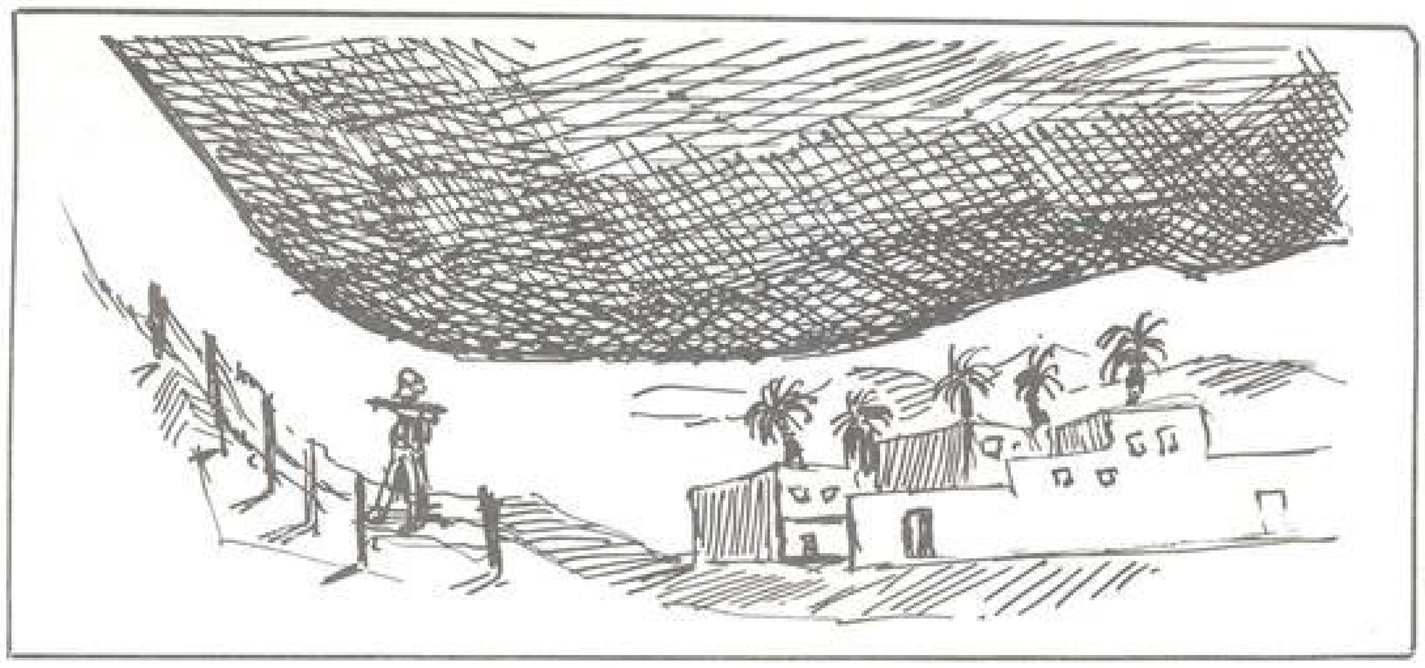
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر ما قاله الرجل الأعمى

قصة
يوسف صالح يوسف



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



انه ما زال يذكر جيدا آخر ليلة كانت عيناه تحدقان فيها فيما حولهما في عمق الظلام ، تماما كعيني جوال قادته قدماه الى أرض مليئة بالمستنقعات تخترقها ممرات اجبارية لا يتجاوز عرض أعرضها نصف المتر .

في تلك الليلة كان يحمل بندقيته التي يعرف جيدا عدد الخدوش التي اصابت سطحها البني العجوز . كان يقف في مناوبة الحراسة في الحرش الصغير القائم في الركن الشمالي من الميناء ، يضرب اخماسا لاسداس ، فكل الاخبار تؤكد على غزو محتمل من قبل قوات العدو بغية احتلال الميناء والمدينة .

ولولا ريح نشطة كانت تدفع الجسد القادم من جهة الشمال بمحاذاة الشاطيء ، لما استطاع أن يتبينه مطلقا .

وضع اصبعه على الزناد ، سدد الى الجسد القادم ، أطلق النار ... لكن الجسد القادم اختفى وكأن الارض ابتلعته ، لم يسمع صراخا ، فتأكد لديه ان كل الطلقات ذهبت سدى ، ولم يصب هدفه .

نما الخوف في قلبه ، تقاذفته كثير من الافكار والهواجس ، لكن ابهامه بقي ملامسا للزناد ، يترقب اية بادرة من ذاك الذي اختفى ، ومرت الدقائق ثقيلة بصمتها ، الا من حفيف الرياح .

وفي زحمة التفكير ، وتحت طائلة الخوف ، اقتعد الحارس قرب سد اسمنتي صغير ، وزع نظراته الى الامام ، وازداد التصاقا ببندقيته .

انقضت الدقائق تحمل فيها من صمت القبور ، وتحكي قصة آلاف القتلى الذين ذهبت بهم حرب النازي في روسيا ، وتحكي قصة الاف القتلى في الاوراس .

وضع بندقيته بين رجليه ، القى براسه الى السد ، وارتفع بنظراته الى قمته ، فرآه عاليا عاليا .. يحميه من الخلف ، وأصبح المهم لديه ان يأمن الامام .

تناهى الى مسامعه صوت خفيف آت من الخلف ، تحرك بهدوء الى طرف السد الجنوبي ، اطل برأسه ، فاذا كدمة عنيفة على وجهه ، تبعتها طلقات اخترقت بشرة ساقه اليمنى واستقرت في الارض دون أن تقترب من العظم فارتمى أرضا دون أن يصرخ أو يبدي أية مقاومة .

كان يتحتم عليه الا يرد على النار بالمثل ، والا فان الفاعل سيعود ويجهز عليه ، وتأكد لديه ساعتها بأنها بداية الغزوة .

كان يعرف البحر ويخبره جيدا ، أبدا كانت تنشرح اساريره كلما جلس الى الشاطيء يراقب نهايات المد والجزر ، ويسرح ناظريه بين قمم الصخور الناهضة من اعماق البحر تستنشق هواء البحر الطازج .

كثيرا كثيرا ما كان يسعد لرؤية معالم وجوه الرفاق وهي تضحك ، كانت تعجبه الاسنان البيضاء داخل شفتين مكتنزتين ضاربتين للسمرة ، وكان يسعد لرؤية حاجبي رفيقه سعيد النافرين باصرار يمازج اصرار الكرمل وهو يطاول قمم جبل الشيخ .

قديما كان يعرف حارات غزة ... وكان يطرب كلما مر بالشاطيء لاصوات أمواج البحر الرتيبة وهي تصطفق مع بعضها ضاربة بهدوء تارة وقسوة اخرى نواصي صخور الشاطيء القائمة قدم الكنعانيين .

كان يعشق الضفائر ويعشق قدود البنات وابتساماتهن اللطيفة ، كثيرا ما كان يفرح كلما قابل واحدة من طوال الثوب المزركش ، وأبدا كان يغني : —

وانت من الجبل والا من الساحل
يللي زنارك ع ازرارك ساحل

●●●

لقد كان الحارس كنعان مثال القوة والاصرار بين كل رفاقه حرس الميناء، لكن تلك القوة وذاك الاصرار بدآ يهزلان باستمرار تحت لسع سياط الزمن القاسي .

لقد كانت تلك الليلة هي الحد الفاصل في حياته بين الابصار وعدمه، فلقد ذهبت ضربة قدم ذاك الغريب بقدرته على الرؤية ، واستحال النور أمام عينيه الى ظلام .. الذكرى غرفته الوحيدة ، ومع الذكرى تتولد الحسرة القاتلة للنفس البشرية .

●●●

لقد اعتاد بعد ان ترك الخدمة العسكرية حياة التسكع وتلقفته المقاهي وصاحب روادها . اصبح يطرب لاحاديثهم عن الحرب الاخيرة، الحرب التي لم يبصر نتائجها بل سمع بها ، الدمار الذي حل بالبلاد ، والكرامات التي هدرت والاعراض التي سفكت ، ان مثل هذه الاحاديث هي زادهم اليومي الذي يدمنونه في غياب جند الاحتلال ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ مسكينة رحمة ، في معارك شارع عمر المختار ، القوا عليها القبض ، وتقاسموا جسدها ، فجعلوه فراشهم ، وتناوبوا معها الزمن ، ثم قتلوها بخناجرهم لانها صرخت أن تبتسق في وجه الضابط : . قال شنيور ابن العقد الثاني متأسفا .

ـ آه على أيامك يا كنعان .. لو لم تفقد بصرك لكنت انت الراوي ونحن المستمعين ، لكن ، آخ .. آخ. قال واحد ينفث دخان سيجارته الكريهة .

ـ بل قل ليتني مت ولم اسمع هذا الكلام ، آخ .. آخ .. لكن ماذا باستطاعتي أن افعل ؟ ليس أمامي سوى المشاركة الوجدانية . قال كنعان هذا وهو يفرك جبهته فيما استمر الاخرون بمتابعة لعبة البناكل المحببة اليهم .

قال كنعان وهو يقترب بكرسيه نحوهم : ـ

ـ لكن قل لي ياشنيور ، حرس الميناء ، ماذا بشأنهم ؟ من يومها لم اسمع عن أيهم شيئا .

قال شنيور دون أن يرفع عينيه عن الورق المصلوب بين اصابع يده اليسرى :

ـ انا مثلك ياكنعان .. كل واحد هرب الى جهة .. لست اعرف عن أيهم شيئا .

قال كنعان وهو يبسط كف يده اليمنى فيما كان يفرك بيده اليسرى جبهته العريضة :

ـ آه .. يا لهذه الجبهة .. قديما كانت تحمل تحتها عينين ثاقبتين ، تبصران ما لا يبصره الاخرون .... اللعنة عليكم ايها اليهود الملاعين ،لقد احسنتم في هجمتكم التصرف .... ضربتم اعز شيء ... اذ مافائدة كل سلاح العالم في يد رجل اعمى مثلي ؟

●●●

قال فنان صهيوني ذات يوم حديث: ما دامت هناك يد عربية تطرز ، مادام هناك شعب عربي في فلسطين، يجدر بنا أولا ان نقطع هذه اليد، ففي قطعها انتهاء لهذا الشعب وتغريب لاصالته الاصيلة .

●●●

قال حكيم جاء البلدة هابطا من اعماق الشرق : عندي لكم حكاية .

تحلق حوله اناس المقهى ، علت الهمهمة بينهم ، فيما كان كنعان يفرك جبهته بكفيه ويشرئب بعنقه الى مصدر الصوت .

وما ان انتهى الحكيم من سرد قصة الاسد الذي كان يعيش في قصر ، ولكنه في النهاية غادر القصر ولحومه هاربا الى الغابة حيث اعتاد حسب اصالته أن يشقى في سبيل فريسته .. حتى ضج الناس بالضحك الهستيري المجنون ، فيما علا صوت الحكيم من جديد :

ـ المقاهي ... هذه الكلمة الجديدة في قاموس حياتكم .. انها تسرق منكم أوقاتكم دونما فائدة ... كونوا مثل اجدادكم ... كان الواحد منهم يحمل فأسه ومجرفته ويخرج مع التباشير الاولى للصباح ولا يعود الا بعد أن يكون الليل قد داهم البيوت .

ارتفعت ضحكات الناس من جديد ... وامتدت اصابع السخرية الى الحكيم .

ـ لا فائدة من كلامي على ما يبدو، انني كمن ينفخ في زق مثقوب ، استودعكم ، سأفتش عن اناس اخرين .. وابتعد هابطا درجات المقهى ... صاح فيه كنعان طالبا منه التريث :

ـ ماذا تريد أيها الاعمى؟ المبصرون لا يأبهون لما أقول .. فكيف بالعميان أمثالك ؟ وداعا ... قال الحكيم بحنان ممزوج بالخيلاء .

ـ يسمع الانسان بأذنيه وليس بعينيه أيها الحكيم .. لم نفهم ما تريد ..

ـ وهل تعتقد انني اقدم لكم حزورة ؟ لا .. لا ايها الاعمى .. ما رميت اليه واضح تماما .. المقاهي كالسرطان في حياتكم .. ليس من طبيعتكم أن تدمنوا المقاهي في زمن السلم ، فكيف بزمن الحرب ؟ حربكم لم تنته بعد ....

ضم الحكيم يديه الى صدره ، استدار ناحية الجنوب .. خطاخطوة قصيرة .. نظر خلفه الى الرجل الاعمى .. تنهد ثم قال :

ـ « بلدة عميانها مفتحون اكثر من المفتحين فيها ، لافائدة منها » .

واستطالت خطواته مسرعا نحو الجنوب فيما رفع الاعمى يديه الى السماء :

ـ رحمتك يا رب .. ليس الاعمى أعمى البصر ، انماهو أعمى البصيرة.

تحلق الحاضرون حول كنعان وارتفعت حناجرهم :

ـ لا ... لا يا كنعان .. لم نكن نتوقع هذا منك .. وانت رمز العناد في رأيك ..

قال كنعان بعصبية :

ـ اذا كان في عنادي ما يخالف رأي ذلك الحكيم فأنا اتنازل عن هذا العناد .. هل كنتم تعتقدون بأنني سأخالفه رأيه في المقاهي ؟ . لا .. لا

واندفع الاعمى بينهم كالاهوج يتخبط ويصرخ فيهم : لا ... ان المقاهي كالسرطان .. كالسرطان .. كالسرطان ..

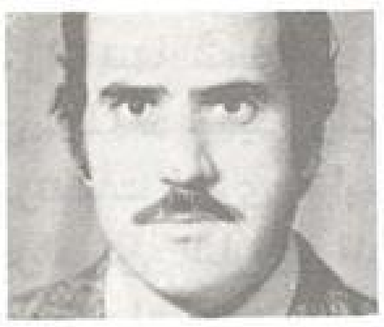
بدأ الرجال يتدافعون خارجين الواحد تلو الاخر ينظرون في عيون بعضهم فيما كان صاحب المقهى ينهار تدريجيا على العتبة .

يوسف صالح يوسف

الزرقاء (الاردن)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





بقلم
يوسف
الغزو

صوت الحرية

لا شيء ينعش القلب والروح كهذا النسيم العليل ، والسيارة تتهادى بهما عبر الطريق المتعرج المنحدر الضارب في بطون الجبال والتلال . تراءى الطريق في البعد كثعبان اسود هائل يتلوى في احضان هذه الجبال العديدة المتلاصقة بتتابع منتظم كأهرامات مصر . كانت سفوح الجبال وقممها تكتسي بالاشجار الحرجية الكبيرة من كل صنف ، بينما ازدانت الطريق على جانبيها بأنواع الازاهير التي ينجلي عنها فصل الربيع فيحيل النزهة خلالها أو التمتع بمرآها متعة حقيقية للقلب والروح. وما كان احوجهما — فارس —



و ــ عزيز ــ الى مثل هذه النزهات في الخلاء الجميل الفسيح للترويح عن نفسيهما من عناء عملهما في المحال المزحمة والمكاتب المغلقة الخانقة . سيما بعد أن ابتاع فارس سيارته الجديدة الفاخرة ، وطفقا يغدوان الى هذا المكان بواسطتها .

واصلت السيارة انسيابها خلال الطريق المتعرج . كانت الاشجار واعمدة الهاتف تعدو مسرعة الى الوراء فيما تنجلي التلال والمرتفعات عن مشاهد جديدة رائعة لتلال ومرتفعات اخرى ، أو عن بعض اجزاء من الطريق المتعرج الضارب في بطونها .

ضغط فارس محرك السيارة قليلا ، ثم نظر نحو عزيز وقال : ــ

ــ لا ادري يا عزيز لم لا تستطيع كل هذه المناظر الخلابة ان تبعث السرور في نفسي .. ان لدي من الاسباب ما يجعلني اكره عملي داخل محل مغلق .. ولكن ..

ــ ان عملك كصانع للمفاتيح هو على أي حال خير من عملي الوظيفي المرهق .. فيه تسلية يدوية على الاقل . أما أن لا تبعث هذه المناظر في نفسك البهجة والسعادة فهذا يعود الى حقيقة اساسية فيك .. وهي انك جاحد لما هو كائن .. طموح لما ينبغي ان يكون .

ضحك فارس بفتور ثم التزم الصمت . امتزج صوت محرك السيارة بصوت تلامس النسيم بها فتكون عنهما صوت كالحفيف بدد الصمت الى أن قال عزيز : ــ

ــ فلتحمد الله يارجل سيارة جديدة . .وعمل ناجح ، ماذا تريد من الحياة اكثر من ذلك ..

ــ ربما ، ربما قد تكون على حق .

عاد الصوت المتكون عن النسيم والمحرك يئز في الصمت . بينما عبرت السيارة انحناء دائريا حول احد التلال الصغيرة ، ثم انفرجت الطريق باستقامة طويلة نسبيا مع انحدار قليل اوحيا لفارس ان يزيد ضغطه على محرك السيارة .. فتدفقت الى داخلها موجات من الهواء المنعش .

وقال عزيز : ــ

ــ لعلك تعرف شيئا عن تطورات قضية ذلك المتهم المسكين .

نظر فارس نحو صديقه وقال باهتمام : ــ

ــ في الواقع ، لا اعرف شيئا جديدا عن القضية .. كل ما عرفته انه يوشك أن يعترف .

ــ تقول الصحف ان القاضي نفسه مؤمن ببراءته ،ولكنه عاجز عن الامساك ببداية الخيط .

ــ هناك ادلة دامغة على ما يبدو يا عزيز . ومشاعر القاضي الانسانية ليست دليلا مضادا .

ــ لقد حضرت احدى الجلسات . .وشاهدت المسكين وهو يبكي ويقسم بلهجة تقطع انياط القلوب بأنه بريء .. وبأنه لم يختلس فلسا واحدا .

صمتا قليلا حتى قال فارس : ــ

ــ انت متعب حقا يا عزيز .. لم تحشر نفسك في مثل هذه المواضيع؟.

ــ لقد اصبح للقضية دوي كبير في الصحف واوساط الرأي العام ... فضلا عن انني ارثي لهذا المتهم واكاد اشارك القاضي احساسه ببراءته . انفجر عزيز بغضب ظاهره المزاح .

ــ كلكم ذوو مشاعر انسانية .. انت والقاضي .. والصحف .. لقد سرق الخزنة وظهر عليه الثراء وادلى باعترافات متناقضة .. فضلا عن أنه محاسب الشركة وامين اموالها المسروقة .

ــ مهلا .. مهلا . انت تصلح لتمثيل الادعاء العام . الا تؤمن بصدق المشاعر الانسانية ياهذا ؟

واصل عزيز صيحة غضبه المغطاة بالمزاح .

بسبب التسارع الهائل في اندفاعها.

ــ أين غابت تلك المشاعر الانسانية حين وجه المتهم اتهاما لذلك الرجل الذي يرئسه في الشركة دون أن يقدم دليلا واحدا على اتهامه .. لقد كان مدفوعا بالحقد والكراهية له لانه هو أول من كشف الغطاء عن فعلته الشنعاء ..

ــ ولكنه قدم بعض الادلة ضد ذلك الرجل الذي يدعى « مفيد » .. هي أدلة على أي حال وان اعتبرت في نظر القانون غير ذات قيمة . .

ضحك عزيز وقال : ــ

ــ فلتعتبر ادلة للمشاعر الانسانية اذن ..

استوت الطريق أمام سهل واسع زرعت أرضه بالقمح . تأودت سيقان القمح الخضراء مع النسيم فترافعت سنابلها في موجات متلاحقة كموجات البحر .. وقال عزيز :

ــ غدا ستكون الجلسة الختامية. فما رأيك لو حضرناها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كلا .. انا لا احب المحاكم بأي صورة من الصور .

ـ ما هذا الرفض الغريب ؟ هل تراك ستحضر الجلسة كمتهم لا سمح الله ؟

ـ يالمزاحك الثقيل يا اخي .. لن احضر تلك الجلسة وكفاك حديثا عن تلك القضية التي لا تهمنا على الاطلاق .

اجتازت السيارة السهل المزروع بالقمح ، ومضت تقطع منحدرا حادا . لم يخفف فارس من سرعة السيارة كما ينبغي بل مضى يقودها بسرعة اكبر فقال عزيز : ـ

ـ خفف السرعة يافارس . ليس هكذا تقاد السيارات عبر منحدر كهذا .

ضغط فارس فرامل السيارة، ولكن سرعتها ، وشدة انحدارها لم يتأثرا على الاطلاق .. ذعرا ! عاد فارس يضغط الفرامل من جديد دون جدوى فصاح :

ـ عزيز ! الفرامل لا تعمل ! لقد هلكنا !

فصاح عزيز بذعر هو الاخر : ـ

ـ يا للهول ! اعد الكرة . استعمل الفرامل اليدوية لتخفيف السرعة .

لم يكن فارس بحاجة لمن يذكره بالفرامل اليدوية .. فصاح بعد فشله في استعمالها :

ـ لا فرامل في السيارة على الاطلاق .. انه الهلاك !

عاشا تلك اللحظات العزيزة الثمينة التي تسبق النهاية . وذاقا طعم التجرد الانساني عن اية رغبة في الوجود عدا رغبة البقاء . وتفاعلا مع لحظات الرعب الذي يغسل شهوات النفس وأدرانها فيحيلها الى نفس طفل رضيع ، وصاح عزيز :

ـ ما العمل يا فارس ؟ هل هناك امل ؟

تراءت الى يمين الطريق صخرة ناتئة هائلة فقال فارس :

ـ هل انحرف فأضرب تلك الصخرة ؟

ـ كلا . كلا . سوف نمزق اربا .

ـ لقد تمزقنا وانتهى الامر ..

ـ لا تيأس يا فارس . حذار من اليأس . عسى ان يكون هناك أمل . ادع الله وأنت موقن بالاجابة .

ـ الله ؟ متى عرفت الله كي يعرفني ؟

ـ لا تيأس .. حذرتكَ بشدة من اليأس .

اختفت الصخرة الناتئة . ومرت ثوان عزيزة كالحياة . كان مؤشر السرعة في السيارة يتراقص حول الرقم «مائة» . والسيارة تنطلق بجنون ناشرة الرعب والفزع لدى سائقي السيارات التي تقابلها . وفارس يتصبب عرقا وهو يتشبث بالمقود رغم تيار الهواء الحاد المتدفق الى داخل السيارة .. وهو يقول :

سامحني يارب .. غفرانك يالهي .. سامحني يارب . وبكى . بكى بعنف حتى طغى صوت بكائه على صوت المحرك الهادر . لم يشأ عزيز مشاركته البكاء في محاولة للابقاء على البقية الباقية من تجلده واصطباره وفجأة كف عن البكاء وصرخ :

ـ انا لا ابكي جبنا يا عزيز . حذار ان تعتقد ذلك . .ولكنني خائف ان أموت فتموت معي الحقيقة الى الابد.

واصل البكاء . وشد اهتمام عزيز الى المفاجأة المجهولة التي لمح اليها صاحبه رغم شبح الموت القريب. وواصل فارس وهو ينشج :

ـ اعاهد الله ان أقول الحقيقة . كل الحقيقة .. لن أقول غير الحقيقة لو نجوت . ولكن اين هي النجاة ؟

بدت النجاة بعيدة كالنجوم . فالسيارة توشك ان تفقد توازنها والتعرجات الخطيرة التي تندفع خلالها . والخوف العارم الذي يجتاح قائدها ، وصاح عزيز :

ـ قل يا فارس . قل فعسى الله ان ينجينا .

تابع فارس كلامه كالهاذي :

ـ ستخرج من السجن ايها المحاسب المظلوم لو نجوت . وسيدخله بدلا عنك اثنان هما مفيد وأنا .. لقد سرق مفيد الخزنة بمساعدتي .. انها قصة طويلة سوف ارويها بحذافيرها أمام القاضي . وسيارتي هذه التي تندفع بي الى الجحيم هي ثمرة تلك الجريمة التي اقترفناها وتقاسمنا انفالها ، كما سوف نتقاسم السجن ونقضي فيه المدة التي تقررها العدالة وسوف نغسل هناك نفوسنا الصدئة ، وتبرأ هناك من مفاتن الدنيا والجاه ، والمال الحرام . ولكن أين هي النجاة ؟

وهنا ازداد فارس تشبثا بالمقود. وكف عن البكاء . بل بدت عليه مسحة من سعادة طارئة كمن ازاح عن صدره حملا ثقيلا . وامتدت قدمه الى الفرامل تضغطه بأمل جديد .. وفجأة زلزلت السيارة بمن فيها ، وتأرجحت حتى كادت تتهاوى الى الوادي السحيق ، ولكنها توقفت نهائيا وقد احدثت صوتا هائلا حادا تردد صداه في قلب الوادي السحيق وتناقلته التلال والجبال . تماما كذلك الصوت القوي الذي تردد في اليوم التالي في قاعة المحكمة يبريء المحاسب ويدين السارقين ، ويتردد صداه في الصحف واوساط الراي العام .

عمان (الاردن) ـ يوسف الغزو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حوار مع

القاص العراقي

احمد خلف



اجراه عبد البطاط

القاص احمد خلف من ابرز القصاصين الشباب ، نشر الكثير من قصصه في المجلات والجرائد العربية والعراقية ، اصدر عدة مجاميع كان اهمها « بيوت في الشوارع الخلفية » له رواية مخطوطة ستنشر قريبا بعنوان « المدرج » .. مدحه الدكتور الناقد علي جواد الطاهر ، واعتبره من القصاصين الشباب البارزين ، القى محاضرة عن القصة العراقية المعاصرة في اتحاد الادباء كان لها صدى طيب عند الحاضرين .. تناولها النقاد بالتعقيب . والقاص له آراء جريئة ننشرها في هذا اللقاء معـــه .

★ القصة هذا اللون الادبي المعبر عن كثير مـــن الطموحات والامال الانسانية ماهو مفهومك لها .. ؟

● اذا اعتبرنا أن الفن ظاهرة انعكاسية للعقل البشري او تجارب الانسان فممكن ان تكون القصة جزءا من هذه الظاهرة ، من هذه العملية الكبيرة ، كما أتصور أن القصة القصيرة ماهي الا تجسيد أو انعكاس لموقف ، يقف وراءه العقل ، او بكلمة مختصرة تقف وراءه الذاكرة زائدا الوعي الذي يمتاز به القاص او الروائي .

★ هل يمكن ان تعتبرها شريحة من الواقع .. ؟

● لا يمكن ان نعتبرها شريحة من الواقع لان هـــذا المفهوم طرح في القرن التاسع عشر وكاد ان يسود في الادب العربي المعاصر وهو مفهوم خطأ ، فالشريحة هي جزء من كل ، فالقصة القصيرة على أيدي بعض الكتاب الكبار قد تحتوي الواقع وتشمله بكل اجزائه ، وعندما أقول انها تجسيد عن موقف فهي انما في نفس الوقـــت تجسيد عن المواقف الحياتية التي تتطلب استخـــدام عناصر قد تشمل الرواية ايضا بمعنى انها قد تطـــرح مفهوما في مستوى مفهوم الرواية . على هذا الاساس ارفض الراي الذي يقول ان القصة القصيرة ما هي الا شريحة او جزء من الواقع ، اذ قد تكون في لحظة مـــن اللحظات هي الواقع بأسره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ماهي الدواعي التي أدت بك الى الاتجاه الى هذا اللون من الادب ؟

● قراءاتي هي التي دفعتني لهذا المنحى ، فقد جربت الرسم والشعر وفشلت في الاثنين وعندما أتجهت للقصة اكتشفت أن لدي قابلية قصصية ممكن استغلالها ، ان الكتاب الاساسيين الذين تأثرت بهم هم الكاتب الفرنسي « اندريه مارلو » وقد علمني الكثير وخاصة رواية « الوضع البشري » اذ أفهمتني كيف تكتب الرواية أو كيف تكتب القصة ، اضف الى هذا الاستفادة من « البير كامو » وتأثرت به تأثيرا شديدا وخاصة في البدايات ، واكتشفت «دستويفسكي» الذي يعتبر أب الرواية كما يقول سارتر ، وذلك من خلال متابعاتي وقراءاتي ، هذا لم يعلمني الرواية فقط أو كتابتها ، بل علمني كيف تحب الرواية ، وهناك نجيب محفوظ، حاول ان يفهمني تطور الروائي وخاصة عندما طرح رواياته القصيرة « كاللص والكلاب والطريق .. وسواها » بعد الثلاثية المشهورة فعلمني كيف يمكن للروائي أن يعيد نفسه ، اضافة الى «يوسف ادريس» الذي يعتبر أحد اعلام القصة القصيرة الحديثة «وغسان كنفاني» الذي يحتل موقعا خاصا في نفسي بمجال الرواية أو القصة او المقالة ، وأسماء عديدة كانوا جنودا حقيقيين في مجال القصة والرواية ، وحاولت تجاوزهم وهذا طموحي المشروع بتجاوز تجارب الاخرين وكتاباتهم .

★ هل هناك ضوابط معينة تحدد من الاسلوب الجيد للقصة .. ؟

● لا يمكن اعطاء وصفة ثابتة ونهائية حول الفنان الجيد .. وكما يقول « لوكاش » أن الفنان اسلوبه وموضوعه الذي يطرحه . فنجيب محفوظ يمتاز بأنه يطرح مشكلات مصر العصرية ومشكلات الانسان العربي باطار عصري وناضج ، فنجيب محفوظ الفنان يمزج بين عذابات نجيب الانسان ونجيب الفنان باطار وتكنيك وأسلوب ناضج وهذا ما يجعل الفنان اكثر جودة .. فالجودة يحددها طرفان .. وهما اساسان في المعادلة الفنية ، الاسلوب مضافا الى الموضوع والتكنيك مضافا اليه المحتوى . فعندما يتوفر هذان الشرطان ، وهذان لا يتوفران اعتباطا بل بالعكس ، فهناك الثقافة .. « الينابيع الاساسية » .

★ القصة عندك هل تخضع لتخطيط مسبق ضمن شروط معينة .. ؟ أو أطر خاصة مهتما بالتكنيك أولا أو المضمون .. وكيف .. ؟

● عندما اكتب القصة ابدأ بطرح سؤال على نفسي، وهذا السؤال يتشعب الى سؤال آخر وهذه الاسئلة المتشعبة تطرح اكثر من مجموعة اسئلة اخرى ، مثلا، أسأل نفسي ، ماذا اريد أن أقول في هذه القصة .. ؟ ومن ثم تبرز في ذهني مجموعة انطباعات او ملاحظات نفسية أو سياسية أو اجتماعية حول شخصية من الشخصيات أو حول حادثة من الحوادث ، فاذا كان بعض الكتاب يعتمدون أساسا في طرح الموضوع على نمط من الانماط الشخصية او على حادث من الاحداث فأنا لا اسير على هذه الطريقة ، قد تستفزني حادثة من الحوادث وأكتب ، وقد يستفزني نمط خاص من البشر ويدفعني الى الكتابة ، انا لست انتقاديا ، انا لا اؤمن بالفلسفة الانتقائية .. انني اؤمن ايضا بأن الفنان اكثر من سواه مقدرة على التقاط المشاكل والقضايا التي يمكن أن تطرح .. انني لو استفدت من تجارب الاخرين في مجال الاستفادة من الشخصية في القصة فهذا لا يعني انني اركز على الشخصية بذاتها .. قد اطمح من خلال هذه الشخصية المتفردة الى أن اطرح قضية او اطرح موقفا فلسفيا او اجتماعيا او انسانيا، مثلا .. دافع القصة يدفعني الى لحظة من اللحظات يكون فيها الصفاء قد وصل الى حد العذاب أو حد الفرح الطاغي الكبير جدا الذي يدفعني الى الكتابة وأذكر أيضا من الملاحظات حول هذه الطريقة بالكتابة ان في احدى قراءاتي لسيمون دي بفوار تقول : « انني غالبا ما امتلىء حتى اكاد أنفجر بالفرح أو العذاب فأفاجأ بأني اكتب كتابا كاملا » وتذكر على سبيل المثال الكتاب المشهور « الجنس الثاني » وقد كتبته بدون تخطيط سابق ..

أما متى أكتب القصة .. فهي عندما يفرض الموضوع نفسه علي ، أنا لا افضل التخطيط والمعمار للقصة ، فهذا يدفعنا الى القولبة والى النمطية في كتابتها .. والقصة كفن يحتاج الى كثير من التجانس.

★ لا شك أنك من الدماء الشابة في القصة العراقية القصيرة .. وقد برزت مؤخرا تيارات قصصية وقصاصون شباب فما مدى تحديد نتاجاتهم في هذا المضمار .. ؟

● في الفترة الاخيرة برزت مجموعة من الاسماء كما برزت مجموعة من التيارات أو شبه التيارات والشباب في مضمار القصة القصيرة استطاعوا ان يرسخوا بعض القيم واعتبر كلمة « قيم » هي أكثر دقة من كلمة « تيار » فالقيم التي طرحتها القصة القصيرة حاولت أن تختلف في كثير من المجالات عن القيم التي طرحها الجيل السابق ، وعندما اقول ان « قصة الشباب » طرحت قيما مغايرة عن الكتاب السابقين فلا يعني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالضرورة انهم الغوا الجيل السابق ولكن يهمني انهم حاولوا أن يعطوا للقصة بعدا شموليا اكثر منه محليا وضيقا ، فنتاجات الشباب تمايزت وتباينت حسب ثقافاتهم ومداركهم وفهمهم للقصة وللمجتمع وللانسان كظاهرة كبيرة وخاصة مثل « كتابات محمد خضير ، وجمعة اللامي وجليل القيسي » ، ونلاحظ أن بعض الملامح المشتركة بين كتابات الشباب لا تعني انهم متطابقون ولا يعني انهم متفقون على نمط من القصة .

هذا الاختلاف وهذا التمايز وهذا التباين يجعل من كتابات الشباب اكثر معاصرة واكثر ديمومة لانهم بالتأكيد سوف يستفيد كل منهم من الاخر ويستثمر من ثم نتاجاته في مجال القصة القصيرة .

★ كثيرا ما تدافع عن اتجاه القصة القصيرة الحديثة .. وما اصطلح النقاد على تسميته بالقصة الستينية والسبعينية .. لماذا .. ؟

● في بداية قراءاتي ومتابعاتي لكتاب الخمسينات ومن ثم لجيلي ، لاحظت الجدية في كتابات الشباب والصدق ومحاولة وضع الفن قبل اي اعتبار اخر .. التي هي بالتالي مساندة للانسانومحاولة لطرح همومه المعاصرة والانسانية ، محاولة لتجاوز كل ما هو ضيق ومحدود . على هذا الاساس كانت كتابات الشباب جيدة ورائعة وسوف تفرز اسماء تنبت قيما جديدة وقيما اكثر حداثة بحيث نجد أن اسم محمد خضير يمكن ان يطرح بجانب « ميشيل بوتور » أو « روب كريه » .

★ هل التحديد الزمني مهم بقدر ما هو مهم النتاج الادبي ؟ .. أي دعنى ان الكاتب الفلاني جيد لانه من الجيل الفلاني وبعكسه .. ؟

● الحقيقة عندما اقول ان هذا من الجيل الفلاني أو ذاك من الجيل الاخر لا اعني بالضبط مسألة العمر الزمني للشخص ، كلا . اعني الفترة التاريخية التي عاشها ذلك الشخص وعاصرها ، وكما نعرف فان التاريخ لا يمكن ان يعيد نفسه وان لا يكون متشابها او متطابقا ، اي ان احداث التاريخ واحداث الواقع مختلفة وبالتأكيد تبحث عن اشخاص يفهمون هذا الاختلاف والتمايز في نوعية الاحداث والوقائع ، فيدفع الى بروز جيل يفهم خصائص هذا الواقع ، وبنفس الوقت يطرح هذا الواقع طرحا مغايرا ومختلفا .. مثلا قاص مجد مشهور ومقل جدا هو القاص محمود عبد الوهاب ، يعتبر من القاصين الجيدين وذا تكنيك عال في القصة له اسلوب جد معاصر ولا اعتقد ان اسلوبه يختلف عن الشباب على الاطلاق الا في بعض الزوايا الضيقة . فمحمود عبد الوهاب اكبر من الجيل الجديد بعشر سنوات أو اكثر لكن كيف استطاع ان يتجاوز مرحلته لكي يكون مع هؤلاء الشباب .. ؟ كيف استطاع ان يتجاوز مرحلة الخمسينات ويقفز الى الستينات ، بحيث يطرح هموما معاصرة .. ؟ معنى هذا (باعتقادي) انه حاول من الداخل محاولة صادقة أن يفتش ويبحث عن أهم الخصائص في شخصيته وتجربته الشخصية ومحاولة مطابقتها لتضيء دهاليز الواقع المعاصر ، فكان عبد الوهاب عندما يلتقط مشكلة ويقيسها الى اي مدى هي مطابقة للواقع وتعايشه وتفرزه فرزا اكثر ديناميكية واكثرصدقا لشيء اسمه الادب والفن والانسان الحديث .

★ نتاجات الشباب القصصية .. كيف تقييمها .. وما هي المآخذ التي تسجل عليهم ؟

● ان جيلي يؤخذ عليه غالبا ان ما يعوزه هو الاستفادة من الواقع « قد تبدو سهلة هذه » ولكنها بالعكس ، اي انها محاولة لفهم هموم الناس ومشاكلهم ومن ثم فرزها وتمييزها وطرحها الى حد ما ، الان وبشكل نسبي ، لا يزال كتاب الشباب يطرحون هموما ذاتية وهذا ما يجعلهم في حالة انفصام عن واقعهم المعاش .. واني اطالب القاص بكل ما هو سياسي واجتماعي وجنسي ونفسي .. كاهتمام عام لا أن يكون مختصا بناحية دون اخرى وبالعكس تكون القصة هي فعلا احتواء شاملا لكل هذه العذابات الشاملة وان يهتم بالمشكلة السياسية بقدر اهتمامه بالمشكلة الجنسية او المشكلة الاقتصادية ، ومن ثم محاولة ارجاع النتائج الاجتماعية الى مسبباتها الاجتماعية ، بهذه الحالة يمكن أن يتوفر في القصة ما يسمى بالمعادلة الجدلية ،وعندما تتوفر نقول عندها ان القصة استطاعت أن تقفز الى هذا المستوى . فالمأخذ الوحيد هو انهم عندما يطرحون هموم الناس يمر طرحهم عبر بوتقة شخصية جدا .

★ هل يمكن أن نستفيد من الاساطير والحكايات في مجال القصة القصيرة ؟ .

● التاريخ كظاهرة ممكن الاستفادة منها في مجال الفنون المسرحية او القصة او الشعر كل في مجاله ومحيطه الخاص.بمعنى ان المسرحية اذا كانت تستخدم الجوقة « الارسطية » سابقا فالان يمكن للمسرحية أن تستخدم الفلاش باك في السينما مثلا .. اضافة الى ان القصيدة الحديثة بدأت تستفيد من ظواهر مسرحية وظواهر قصصية اخرى بالمقابل كجزء من العملية ممكن ان يكون متمما وممكن أن يكون موضوع القصة أو الرواية .

البصرة ــ عبد البطاط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متواليات المغنى والنهر

شعر
علي قنديل

● — ١ —

هنا الارض برديـــة احرقتها الشموس ، وذرت نفاياتها في الموائد .

هنا الارض ماء الوضوء المدنس بالجـــوع ، والجوع شل البطون وبعثـــر ما تحتويه الخيالات ، أرق بالشط عين النواطير،خضب قلب العصافير بالشوك والحب بالانعتاق من الحب

ما ابلد الماشيات على الجسر ، ما اطول الليل اذ يتثاءب في كسل كالنساء العقيمة ، ما اضيع النور في تيه قصر الليالي .

فاين الجزيرة

« يا أيها الثعبـــان التـــف واحملنـــي
الصهد في الاجفان والحـــزن في التنـــي
والتين والاعناب قد افلتـــت منـــي
أنت الثـــري وانت في غنـــى عنـــي » .

هنا الارض صومعة تتقلب في كف وحش البراري ، ترقص للحلم ــ فارغة ــ والنهاية ، تنداح في موجة الجزر والبحر خوف وتفاحـــة من عصير الخديعة .

و (حابي) يخبئه الليل ، أم يخلـــف الوعد ، في اي ارض يقيم (ومصر الرداء الذي يرتديه) المخـــادع حابي ، ، الامـــين الحنون المماطـــل ، حلم المحاريـــث والدرس ، كل جروح الاراضي اذا فاض طابت ، وما عاد طير السماء يموت على الارض ، حابي الاساطير وجـــه البنـــات المخضب بالارتواء .

● — ٢ —

اغني لمن ــ والاغاني قاحلة والكلام معاد وما عاد سرا خبيئا وما عاد آلهة تستجيب لقيثارتي ، انا سحت في كل واد بعيد وطفت بما لم تر العين ، حط بي الموج في قاع بحر البحار ، ولم تبد ياقوتتي .

هل انام الى آخر الكون ام ان استظل بما خلفته السنون من الفحم والحجر المعدني ؟ انا لن ..

وعند انعطاف الزمان ذكرتك يا ام ، هـــلا وجدت الغذاء وكيف المياه هناك ، انا ادرك الان اكثر من اي عام خلا ، أدرك اني ابنك ــ المد والاشتهاء ، النفور الى فوق اني جناح المطر ،

« وفي كل بيت بمنف ، أنا
ومنفيـــــة في كل البيوت
فان غلبتنـــــي الحروف أظـــل
وان أنا اغلبها سأموت
« على وجه منف جنائن من لهب يستكن
وفوق شفاهي آخر قبله
فان لم اقبلهـــا ساجن
وان أنا قبلتها صرت شعلة »

● — ٣ —

وانكـــر :

أودع السر (رع) عاشقين بمصر ، يمران فيها ، يفتش نصفهما عن كميله ، قد ضاع حابي ..

ولكن أنا النصف .. لا .. ليس حـــابي سوى الماء ، ابقى انا السر وحدي ، اذا ما عرفت تفتق عـــن قبضضتي الف نهر، ومزقتاحجار مجراي، اصبحت دلتا، وابقى انا السر وحدي ، ولكنني ما عرفت السبيل فويـــح لما بعثرته الليالي .

افكر أم استغيث بحابي ؟ افكر ام اسال الميتين ؟ أامتد في العشب ملحا حزينا أرويه من حيرتي أم اغني ــ لمن ، والاغاني قاحلة ، والكلام معاد وما عاد سر خبيئا ، فطوبى لمن عذبته الحروف ●

١ ــ رائحة المجاعة في القصيدة اصلها هبوط في منسوب ميـــاه النيل حدث في عهد احد ملوك الاسرة الرابعة عشرة ، ادى الى قحط في الوادي كله .

٢ ــ «الثعبان» هنا ، هو ما تشير اليه الاسطورة الفرعونيـــة « الملاح الغريق » حيث جزيرة مسحورة يحكمها ثعبان ــ اله ، انقذ الملاح من الغرق واكرم ضيافته .

٣ ــ حابي = النيل ، رع اله مصري .

رد على

"دعوة للحوار"

الى حضرة السيد خالد عبد الكريم المحترم

تحية طيبة وبعد

شيء جميل يا اخي ان تفتح دعوة للحوار في مثل هذا الموضوع وهو موضوع ازمة الانتاج الادبي . والشيء الاجمل ان تدعو للمشاركة في معالجة هذه الظاهرة . حسن، سأحاول ان اقول ما عندي.وأرجو الا يكون كلامي قاسيا على قلوبكم الرقيقة واحاسيسكم المرهفة .احقا تتألمون من هذه الازمة ومن هذا النضوب ؟ احقا تذوب نفوسكم حسرة وكمدا لندرة الابداع الاصيل والادب الرفيع ؟ لا ادري الى متى ستظلون تدفنون رؤوسكم في الرمال! بل الى من توجهون اللوم ؟ ومن الذي تنتظرون ان يتحفكم بروائعه واعاجيبه ؟ !!

شيء محزن فعلا ان نظل هكذا نتبادل الاتهامات وأن يجلس احدنا هكذا على منبره ليلوك كلمات التأنيب ثم يلقيها على اسماعنا قائلا بلا مبالاة وكأن الامر لا يعنيه ولا يخصه : (تفاهات شعب كسول .. هذا ما نسميه اللاأدب أو الادب الزائف) . أعود لاسأل من جديد .. من هم المسؤولون عن ذلك ؟ وممن تنتظرون العطاء ؟ ومن الذي أوجد هذه الازمة ؟ بل من الذي يستطيع القضاء عليها وخلق كل ما هو رائع أصيل يستحق أن نفخر به ؟ لعلك تدرك الآن يا اخي بأن اللوم يوجه اول ما يوجه الى رجال الادب عندنا وبالاخص رابطة الادباء هذهالرابطة التي تعدون من اعضائها وأعمدتها الركينة .. بالله عليكم أين هو انتاجكم يا حملة الاقلام ؟ أينقضاياكم الادبية ؟ أين مؤلفاتكم ومناقشاتكم وخطبكم وآراؤكم وخصوماتكم ! .. نعم ليتكم تتخاصمون .. ليتكم تتشاجرون .. ليتكم تختلفون لتخلقوا لنا المدارس المختلفة والآراء المتباينة والانتقادات البناءة .. بل ليتكم تهزون أدبنا من اعماقه لترتوي عروقه بالدماء وتنبعث به الحياة .. فها هو يحتضر واحتضاره اليم محزن .. فأي قيمة لهذا الوطن اذا لم يكن له تراث أدبي وثقافي يسند أركانه فالشعوب لا يخلدها المال والثراء .. ليت شعري ما الذي سنتركه لاجيالنا القادمة وبأي شيء يفتاتون ؟!

بكل هدوء أقول بأن ما نفتقر اليه في *هذه الفترة* هو وجود *الرواد* ، بودي لو اضع الف خط احمر تحت كلمة (الرواد) لان هؤلاء هم القادرون على بدء المسيرة بمايملكون من قدرات ومواهب واستعدادات بل بما يملكون من أسماء لامعة معروفة ، فبهذه المقوماتيستطيعون السير في طريق مفروش بالزهور والرياحين بل ويستطيعون التأثير على هذا الجيل المتعطش الذي لا يجد أمامه ما يروي ظمأه . ومما لا شك فيه بأن وجود هؤلاء الرواد الاكفاء كفيل بأن يوجد طبقة من التلاميذ الذينيحتذون خطىأساتذتهم بحماس وجد بل ربما أدى ذلك أيضا الى ايجاد طبقات مختلفة من المتذوقين بين مؤيد ومعارض ومقرظ وناقد . نعم هذا ما نحتاج

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليه مزيد من النشاط والجد والمثابرة والاصرار . ونحن والحمد لله نملك هؤلاء الرواد ونؤمن بمواهبهم الحقيقية وقدراتهم الفذة التي لا تنكر ولكنهم للاسف يغلب عليهم طابع التراخي والتكاسل وكأنهم يظنون بأن مهمتهم انتهت بمجرد أن يصدر احدهم ديواناكل كذا سنة أو أنيكتب خاطرة او رايا كل اربعة او خمسة اشهر مختصرا اياه في عمود واحد او نصف صفحة وكأنه يخشى أن يتعب يده من الكتابة او ينهكَ عقله بالتفكير والتأمل والبحث . فهل هذا هو الانتاج يا أدباءنا الافذاذ ؟! .. ان ذلك لا يعدو ان يكون فتات المترفين لا يسمن ولا يغني من جوع !

اني لا القي كلامي هذا جزافا . ولاقيم الحجة على ذلك اقول : انظروا الى اعداد مجلتكم (البيان) الصادرة عن رابطة الادباء .. تفحصوها جيدا .. هل تجدون مقالا واحدا أو قصيدة واحدة كتبت بقلم رئيس التحرير مثلا او أحد اعضاء سكرتيرية التحرير او من هم في مقامهم من اعضاء الرابطة ؟ ! وهذا في نظري ابسط الواجبات التي يجب ان تقوموا بها لبعث مزيد من الحيوية في هذه المجلة . فليت شعري على اكتاف من ستقوم هذه المجلة اذا كان المسؤولون عنها ممن يتركون عقولهم وقرائحهم في اجازة دائمة ويقصرون جهودهم علىترتيب الموضوعات الوافدة عليهم واختيار الصالح منها . وعند هذا الحد تنتهي مهمتهم .

كلمة أود أن أقولها وهي أنالادب (معاناة) بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الصبر والمثابرة والجد .. فهلنجد هذه المعاني فينفوسنا؟! سؤال ما اجدرنا أن نقف حياله متأملين مفكرين ..

ان الحقيقة التي يجب الا تغيب عن اذهاننا هي أن الادب ليس ترفا أو حلية نسبغها على أنفسنا فكأن الواحد منا لا يكاد يصدر ديوانا أو كتابا أو يخط مقالا او قصة الا لكي يعلق على صدره لافتةكتب عليها (أديب) ثم يرتكز على قاعدة ثابتة كتمثال متكلس ويروح في غفوته الابدية وكلما تململ في نعاسه أخذ يغمغم : (اين الابداع الاصيل .. أدبنا في أزمة .. القرائح قد نضبت .. الاقلام قد كسرت) .. مجرد كلام نلوكه ويظل كل منا يقذفه في وجه الاخر وكأن الامر لا يعنيه ولا يخصه .

ترى .. هل حاولنا ان نضع يدنا على موضع الداء ! .. أدباؤنا ما بالهم ؟ انهم والحمد لله يملكون الذكاء والموهبة والاستعداد والعبقرية .. كل هذا متوفر فيهم فلا أظن بأن العقل الكويتي يختلف في تركيبه عن عقول سائر المباقرة في بقاع الارض .. اذن ما سبب التخلف ؟ السبب في رأيي هو أننا قوم مترفون .. وهذا الترف بدأ يزحف كسرطان خبيث الى كل ذرة من عقولنا وأرواحنا .. نعم نحن عقول مترفة .. وعقول مترفة هنا توازي عقولا متعفنة أو عقولا صدئة .. لم نعد نحتمل بذل الجهد وانهاك الاعصاب .. المادة بدأت تقتل فينا كل فكر ، بل أخذت تشل قرائحنا وتطمس ادراكنا وتطفىء نشاطنا وحماسنا .. نعم نحن شعب كسول متواكل متراخ،شعب لنيوقظه من سباته العميق سوى ثورة فكرية تهزه من جذوره .. ثورة تعلمه كيف يستخدم عقله وذكاءه . أما ابطال هذه الثورة فهم موجودون تحت أسماعنا وأبصارنا وكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نضرع الى الله في حرارة وصدق ان يبعث في نفوسهم شيئا من النشاط والحمية .

أرجو مرة اخرى الا يكون في كلامي ما يؤذيكم أو يثير حفيظتكم . وأرجوك أيها القارىء لرسالتي أن تتروى قليلا قبل أن تحكم على ما جاء فيها ولتفكر بينك وبين نفسك ، هل ما قلته صحيح وواقع أم لا . ولا تظن بأن كلامي ينطوي على لون من التجني أو نوع من الهجوم .. انه نفثة من قلب غيور متألم .

قبل أن أنهي رسالتي لي تعليق صغير وهو انكم رغم اعابتكم لكل ما هو سطحي وركيك وغامض في اي انتاج ادبي الا انني أجدكم تجيزون في هذا العدد منمجلة البيان (العدد ١١٣ ــ اغسطس) قصيدتين غاية في الغموض والابهام وهما (كنت لاأملك الا منجلا) و (العراف الاعمى) .. بودي لو أسألكم ما الذي فهمتموه من هاتين القصيدتين .. بل ما هي الفكرة في كل منهما .. فرغم انني قرأتهما اكثر من مرة الا انني لم أخرج بشيء .. مجرد كلمات مرصوصة لا علاقة بينها ولا رابطة، فهي أشبه باللغو أو الهذيان السقيم، بل انها تذكرني بالكلمات الاسقاطية المستعملة لدى علماء النفس في قياساتهم العقلية والنفسية التي يستعملونها في علاج مرضاهم . فالمفروض أن كل ما ينشر في مجلة البيان يكون خاضعا للانتقاء السليم لانها المجلة الوحيدة في الكويت التي يجب ان تختار موضوعاتها باحساس وذوق لانها خاضعة لاشراف نخبة من رجال الادب الذين ما زلنا نؤمنبسلامة اذواقهم ورهافة حسهم . فبالله عليكم انقذونا من هذا الجنون والهذيان وان كنتم مصرين على نشر مثل هذه القصائد فالرجاء أن تكتبوا ولو سطرين في راس الصفحة تلخصون فيهما فكرة القصيدة أو الاحساس المسيطر عليها ، ففي ذلك رحمة لعقولنا واعصابنا .

واخيرا لكم مني خالص الشكر.

ــ الكويت ــ « ن »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زفرات القمر



نجمة عبدالله ادريس
الكويت

يا طالعـــا فـــوق الفيوم
فوق المفاوز والفياني والتخوم
يا راكبا فوق الدنى
يا مبحرا في جدول أمواهه نور حزين
وشعاعه سر دفـــين
يا نائيا فوق الاثير
يا غارقا في لجة اعماقها كبد السكون
يا راكعا في هيبة ما بين ذرات تحوم
يا حاملا احلام ليلي غضة مثل الوليـــد
يا ايها النائي البعيـــد
ماذا تريـــد ؟
مالي أراك محدقـــا في مقلتي ؟
مالي احسك نابضـــا في اضلعي ؟
مالي اخالك منشدا روحي السجينة
لحنـــا مهيبا في تراتيل حزينة
ما خطب روحك ؟ مالها لا ترتوي
من فيض روحي ٠ والضيـــا
ما خطبه يرنو لقلبي في شرود ؟

●●●

يا أيهـــا النائي البعيـــد
الحزن يقطر من جبينك والوجوم
يهمي طليقـــا في السكون
والليل ينسج حول ذياك الشعاع
كلماتك الظمآى التي مثل السراب
كلماتك الظمآى التي تشكـــو اليباب
والقفر والعطش المروع والجفاف
كلماتك الظمآى تقول :
كيف الحياة بلا حبيب ؟
أين المجيـــب ؟

وحدي هنا والليل والاشجان تصفعني الا اين المجيب ؟
قلبي صقيع
وجوانحي ثلج واحشائي جليـــد
وحـــدي هنا والدهـــر والعمر الجديب
وحدي هنا اطوي السكون الى السكون
وحدي اطوف عوالم الموت الغضوب
وحـــدي غريب
في وحشة الكـــون الرهيب
في ظلمة الخوف المولول حين يزار ، والقفار
فوقي تئن ولا مجيب
وحدي انادي في الظلام
ابكي ايث لواعجي الكلمى شواظا من ضياء
ابكي اغص بحسرتي
وبلوعتي
امـــا العيون
تلك التي فوق التخوم
تلك التي راحت تحدث في الفضاء
وتغوص في الصمت الوديع
وتبيت تحلم بالضياء وبالرواء
وبصاحب الحسن البديع
وبذي الجبين الناصع الغر الذي
انواره ملء القلوب
وشعاعه فيض الدروب
لا يا عيون
لا تحلمي
اني سراب
اني يباب
والعمر ليل لا يمر ولا يفوت
اني اموت ٠٠ اني اموت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم

حلمي محمد القاعود

فلاح سنتريس ... أو زكي مبارك ذلك المجهول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجل مثل الدكتور او الدكاترة زكي مبارك ، كان ينبغي ان يحظى بالتقدير من الحياة الادبية في مصر والعالم العربي ، فقد أعطى هذا الرجل — بالصدق والموهبة — الحياة الانسانية كلها على أرض الوطن عصارة عمره وخلاصة حياته .. لقد اعطاها كما تصورها ، ودون ان يزيف او يقلد او يغالط نفسه .

حقا لقد كان ثائر النفس والوجدان جياش المشاعر والعواطف ، ولكن متى كانت هذه الثورة وذلك الجيشان دافعا الى الاهمال والنسيان ؟ ان الرجل كان كاتبا بالدرجة الاولى ، اي معبرا عن نفسه ، عن واقعه من خلال نفسه ، اي كان مبدعا وفنانا .. فهل يجوز ان نسحب عليه غطاء الصمت الابدي ؟ .

الحق ان زكي مبارك لم يكن رجلا عاديا او مجرد كاتب ، بل كان فوق ذلك عالما يصطنع المنطق والاسلوب العلمي في رصده للظواهر الادبية والفكرية التي يبحثها أو تشغله أو تؤرقه ومن ثم فقد قدم للناس اعمالا تتميز بالدقة والاداء المتميز في مجالات بكر ، لم يرتدها احد من قبله وما زال حتى اليوم كتابه « النثر الفني في القرن الرابع الهجري » يحتل الصدارة امام الباحثين في هذا المجال من ادبنا العربي . كما ان دراساته عن «الاخلاق عند الغزالي» و « التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق » وكتابته الجريئة — آنئذ — عن الحب تجعل من الرجل قيمة لا يمكن الاستهانة بها او التغاضي عنها .

بيد ان « فلاح سنتريس » — كما وصفه احمد زكي الملقب بشيخ العروبة — قد اثار حول نفسه الضجيج وعاش حياته في عرامة كهدير المدافع ، ومن ثم فقد اتسمت كتاباته بالعنف الشديد الذي اثار حوله الكثير من العنف ايضا في الرد عليه وتناول ابداعه ونتاجه الفكري. ولذلك اتفق الجميع حياله — دون سابق انذار — على الصمت .وكان هذا الصمت موته وقدره .. كان المقبرة التي احتوت عظامه الحية وتحركت به في شوارع القاهرة قبل

ان ينفذ ملك الموت الامر الالهي باستضافة روحه في الملأ الاعلى !

لكن جيلنا الذي فرض عليه ان يصحح اخطاء السابقين اسهم — وينبغي أن يسهم بالكثير — في رد الاعتبار للدكتور او الدكاترة زكي مبارك الذي فقدته الحياة الادبية والفكرية في الخمسينات من هذا القرن بعد حياة حافلة ومثيرة . وقد جاء كتاب الاستاذ محمد محمود رضوان «عن زكي‌مبارك»(١) اسهاما طيبا ومشاركة مباركة في عملية التصحيح للواقع الادبي الذي دأب على الترويج لمن ينتمي الى جماعة أو حزب ، والصمت على من ينتمي الى ذاته ومثله باستثناء حالات نادرة وقليلة .

ان الاستاذ محمد محمود رضوان بذل جهدا مضنيا بين الاضابير والمجلات وصفحات الكتب ليخرج لنا بصفحات مجهولة فعلا عن زكي مبارك ، الذي لم يعرفه جيلنا بالتأكيد .. لقد صاغ هذه الصفحات بحبه الكبير لبلديه وحبه زكي مبارك ، وكان حبه الكبير هذا دافعا لان نرى حبه في صورة الرجل المثالي الذي يخلو تماما من العيوب — وجل من تنزه عن العيوب — حتى في ادمانه أواخر حياته على الخمر نراه مدفوعا الى ذلك بحكم التجني والاغماط والجفاء والتنكر الذي عاناه من معاصريه .. اي انه ارغم على ذلك دون ارادة منه مما جعل منه ضحية وشهيدا لواقع ادبي ظالم !

★★★

حين ولد محمد زكي مبارك في قرية سنتريس بمحافظة الدقهلية سنة ١٨٩١ كان الابن الوحيد لوالده ... وكان طفلا عنيفا متمردا تعرض في طفولته للموت عدة مرات لولا لطف الله وفي شبابه انعم قلبه بالحزن والشجن فأخذ يواجه الدنيا بقلب كهل ، هذا انسان مرهف تروضه الايام على أن يعيش عيش الكفاف في جميع اطوار حياته وهو كاسف البال حزين القلب ومن الغريب أن حياته كانت نموذجا للغرابة والاثارة على المستوى الفكري والشخصي معا لقد تلقى تعليمه بداية في الازهر الشريف ، ثم انتقل الى الجامعة المصرية ، وكان أول من حصل فيها على الدكتوراه في الفلسفة ، ثم ذهب الى فرنسا على حسابه الخاص ليواصل التحصيل العلمي في جامعة السربون . ويثير هنالك اساتذته ضده ، كما اثار هنا الدكتور طه حسين ضده رغم التشابه في حياتهما العلمية ! وعلى أية حال فقد استطاع ان يجد في السربون من يقف ليعترف بفضله وينصفه رغم ضراوته في التعبير عن آرائه « وفي نهاية الامر اضطر اساتذته الى الاذعان لاثبات آرائه في رسالته ومنحه درجة الدكتوراه بدرجة مشرف جدا » .. واعترفوا بعبقريته وذكائه الحاد ونزاهته .. قال عنه المسيو « مرسيه » هذه العبارة :

« انني لا استطيع أن امنح زكي مبارك ما يصبو اليه ، فاني اقرأ في وجه هذا الفتى ايات الطموح الجارف واخشى ان يجيء غدا ومعه سفير ليطالب بكرسي من كراسي السربون ! .. »

ويوم ادى زكي مبارك امتحان الدكتوراه عن رسالته « النثر الفني» وقف المسيو ماسينون ، وقال : « انني حين اقرأ بحوث طه حسين اقول هذه بضاعتنا ردت الينا .. وحين اقرأ بحوث زكي مبارك اشعر بأني اواجه شخصية جديدة » .

لقد احس بمرارة شديدة ازاء موقف طه حسين منه . لقد اسقطه طه حسين في الليسانس مرتين ، لجرأته في ابداء رأيه ، كما انه امتنع عن تجديد عقده للعمل في الجامعة قائلا : « أنا لم استشر في تعيينه فلا استشار في تجديد عقده » ... وكان امتناع طه حسين سببا في حملة عنيفة شنها ضده زكي مبارك ، وشاركه ابراهيم عبد القادر المازني وسلامه موسى وقد اثر عن زكي مبارك قوله « لو جاع اولادي لشويت طه حسين واطعمتهم لحمه ! .. »

لقد امتلأت حياة زكي مبارك بالكثير من المعارك الادبية حتى قيل عنه انه الملاكم الادبي .. والملاكمة الادبية تعني المعركة الحادة التي كثيرا ما ينحرف فيها المعارك عن القضية موضوع المعركة أو ميدانها الى ناحية شخصية في الخصم .. انه مدين لزمنه الذي سادته الحدة في تناول الامور الادبية والفكرية على وجه العموم ، رغم ان الاحزاب والايديولوجيات لم تكن واضحة آنئذ ومتميزة كما في عصرنا المشحون.

كانت معاركه مع اعلام عصره .. مع طه حسين والعقاد والمازني واحمد امين ومحمد لطفي جمعه وسلامه موسى ، وكانت رغم الغبار الذي آثارته مقيدة وذات اثر كبير في الحياة الثقافية . ان خصومه كانوا يركزون على نقطة ضعف بالنسبة له — آنئذ — وهي حديثه عن الحب والمرأة والذات حديثا جريئا كان يجعل من هؤلاء الخصوم في مركز أقوى أمام جمهرة القراء حين يناقشونه فضلا عن حدته وعنف الثائر الذي كان يجر عليه كثيرا من المتاعب والمضايقات حتى لقد اتهم بأنه من انصار الادب المكشوف . وعندما صدر كتابه مدامع العشاق عام ١٩٤٢ قال عنه الدكتور طه حسين : انه كتاب يحرض على الشهوات ..

لقد دافع عن نفسه دفاعا حارا ، ولكن يبدو أن دفاعه قد تبدد هباء دون ان يسمع احد صوته .. قال في دفاعه : « انا اتحدث عن الحب بصفة جدية ، واتعقب اخباره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وآثاره في كل ما ارى واسمع — ان سكتنا عن تشريح عاطفة الحب فمن يتحدث عنها ونحن ندعي النيابة عن الجمهور في تشريح النوازع والاهواء؟ نحن نريد ان نشغل الناس بأخلاقهم واذواقهم واوهامهم — نحن نريد ان نسيطر عليهم بالادب والعقل ، بعد أن سيطر عليهم السياسيون بالمناوشات الحزبية ، نحن نفكر في خلق عصبية ادبية ولن نصل الى ذلك الا يوم يؤمن الجمهور بأن الادب هو الترجمان الصادق لشهوات العقول. وللعقول شهوات اعنف، واخطر من شهوات الاحاسيس وتثقيف الشهوات العقلية يصل بنا الى منازل الحكماء ويطمعنا في الخلود » .

ومع ذلك فقد شدد خصومه الهجوم عليه والنيل منه خاصة في اعوامه الاخيرة وهو في ذروة مأساته بعد أن عجز عن الرد عليهم بنفس القوة والعنف السابقين .

لقد تقلب زكي مبارك في حياته على المستوى الشخصي بين الكبرياء الشامخ والشظف الشديد وذاق الامرين من التجاهل والعقوق .. لقد كان يثق بأنه اديب مفكر ، يجب ان يحتفي به الناس لانه يملك اسلوبا ولديه فكر ويخلق ابداعا . ولكنه شهد الناس يتحولون عنه ويحاولون النيل منه حتى سبل الرزق ضايقوه عندها ، يمكننا ان نعد السنة التي قضاها مدرسا في بغداد حياة الرغد الوحيدة التي عاشها . وقد شغل عديدا من الوظائف في التدريس بالجامعة والتفتيش بوزارة المعارف والعمل بالصحافة ، ولكنه عاش مؤرقا مهموما ، وشجيا حزينا .. لعل المجتمع كان يمثل سببا من بين الاسباب التي جعلته هكذا ، ولكن المؤكد ان حياته العاطفية مع المرأة كانت اهم الاسباب جميعا . فقد أحب زكي مبارك ، واحب بعنف وضراوة لا يقلان عن عنفه وضراوته في التعامل مع مجتمع الفكر والادب على أرض مصر .. لقد احب الدنيا كلها من خلال المرأة .. ليلى المريضة في الزمالك وليلى المريضة بالعراق وليلى البعيدة موجودة في باريس .. وغيرهن ممن اثرن فيه الصبابة والوجد والحنين .. ! ان هذه الـ (ليلى) قد استغرقت عليه ايامه وفكره رغم ما ينوء به في عالم الناس والفكر من قسوة الحياة وجحود الادباء ، انه لم يسم اي واحدة منهن بل اكتفى بالاسماء المستعارة (ليلى — مرجريت — سعاد) .. ولكن ليلاه المريضة بالزمالك هي التي استحوذت على روحه تماما ، ولكنها للاسف كانت محبوبة للكثير من الادباء والشعراء وذكر الاستاذ صالح جودت ان ليلى هذه قد احبها الشاعر ابراهيم ناجي حبا كبيرا ، استلهم منه أروع أعماله ، قصيدة « الاطلال » التي تغنيها ام كلثوم وقد وجه اليها اهداء بهذه الملحمة وكان اهداء مرا ، قال فيه :

« الى التي تركتها اطلال جسد، وتركتني اطلال روح » ! ..

أما زكي مبارك — يقول الاستاذ صالح جودت — فقد كانت هي حبه الكبير الذي استمد منه مادة الهامه طول عمره ، ولكني لا احسب انه كان حبها الكبير، فقد اخذها عليه الاشفاق اكثر مما اخذها الحب . ويرجع الى ليلى المريضة بالزمالك — الفضل في الهاب قلبه وخياله ليقدم لنا زكي مبارك شعرا ونثرا واحاديث طويلة لها قيمتها عن مدامع العشاق . .

ومع هذا فان زكي مبارك يعد عاشقا عذريا ، وكان رب اسرة وله زوجة وابناء تسودهم الالفة والاحترام .

الدور الذي نسيه من جحدوا فضل زكي مبارك هو وطنيته التي لم تضعف ولم تتخاذل امام المستعمر الذي يحتل الوطن . فقد رفض زكي مبارك أن يساعد في الدعاية البريطانية رغم اغراءات الانجليز .. وقد قال له المستشرق «كانير» بعد أن رفض القاء محاضرات في فلسطين « اذا كنت قد اسفت لانك رفضت هذه المحاضرات فاني سعدت جدا بأن اقابل وطنيا يضع مصلحة وطنه فوق كل شيء .. » .

وقد دخل زكي مبارك المعتقل ، ولم يقبل ان يكتب اقرارا يمتنع فيه عن ممارسة السياسة ولكنه رفض كتابة هذا الاقرار ، لان تحرير الوطن فريضة مقدسة . لقد افرجوا عن كل زملائه عداه . وبعد ان يئست منه السلطات اطلقت سراحه .

وظل زكي مبارك يواصل جهاده في مجال الدعوة العربية ومحاربة اعداء العروبة والاسلام يقول : « وقفت لاعداء العروبة والاسلام بالمرصاد ، فمزقت أوهام الخوارج على العروبة والاسلام شر ممزق ، ودحرت من سولت لهم انفسهم ان يتطاولوا على ماضي الامة العربية وعاديت من اجل الحق رجالا يضرون وينفعون ويقدمون ويؤخرون ، فكان اعتصامي بحبل الحق أقوى ما تذرعت به لاتقاء مكائد الناس ومكاره الزمان » .

وبعد ...

لقد اصاب المرحوم محمود تيمور الحقيقة حين وصفه قائلا :

« انه كشكول حي مبعثر بل مسرحية مختلطة ، فيها مشاهد شتى ، من مأساة وملهاة ومهزلة !.. أو لكأنه برج بابل ، ملتقى النظائر والاضداد .

ويجب علينا ان نلم هذا الكشكول ، وننقيه من الشوائب ، ونبعث ذلك المجهول حيا الى الوجود .

القاهرة / حلمي محمد القاعود

(١) محمد محمود رضوان — صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك — دار الهلال القاهرة ١٩٧٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فن كتابة الرواية

بقلم

ج . و .

ماريوت

من كتابه (The Art and Craft of writing)

نقلته الى العربية : سماء زكي المحاسني

الرواية هي اكثر الانواع الادبية انتشارا ، فالكثير من الناس لا يقرأون سواها ، وان فكرة « كتابة رواية » ناجحة أو ما يسمى (Best Seller) (١) تكاد تكون حلما لكل كاتب ناشيء .

وقديما كانت الرواية قصة تتألف من (٧٠.٠٠٠ الى ١٠٠.٠٠٠) كلمة . وهناك قصص تحتوي على ما يقرب من (٢٥٠.٠٠٠) كلمة ، على أن انتشار القصة بين القراء لا يتوقف على عدد كلماتها ، لكن الكاتب يهدف في الاحوال الاعتيادية الى أن تكون روايته في (٨٠.٠٠٠) كلمة أو ما يقارب من ذلك ، اي في حدود (٣٢٠) صفحة .

وهنا يبرز الفارق ما بين الكاتب الهاوي والكاتب المحترف ، اذ أن الاول تستغرق كتابته لمثل هذه القصة خمسة أو ستة شهور . أما الثاني فربما استطاع انهاء روايته في اسبوع واحد ، ذلك انه يتعمد ان تكون قصته مثيرة ذات شيء من الغموض ، او بها مغزى مثير ، فلا يكترث بالتركيز على شخصيات الرواية أو « بالفن الادبي » (Literary Technique)

ولا يمكن أن نسمي القصة التي تحتوي على سلسلة من الحوادث أو مجموعة من المغامرات رواية (Novel) ، فالرواية قصة تعنى بردود فعل الشخصيات كل تجاه الاخر ، وهي صورة عن الحياة أو عن جانب معين منها ، ولا بد أن تتحول بين يدي الفنان الحقيقي الى صورة تمتليء بالحيوية .

الا أن كلمة « رواية » تستعمل دون تحديد لاي نوع من القصة (Fiction) بشكل يصعب معه تعريف الكلمة .

فالرواية يمكن أن تكون رومانتيكية ، عاطفية ، واقعية ، اجتماعية او تعبيرية ، أو ان تكون خيالا محضا ، ولا ينبغي أن تكون خليطا من كل ذلك .

ان الكاتب الناشيء يجب أن يضع نصب عينيه نوع الرواية التي يريد أن يكتبها ، فاذا كان يبغي الهروب من الواقع فعليه أن يجرب الرواية التاريخية التي تروي حوادث من فترة في التاريخ تشوقه ، أو يعمد الى تخيل الحوادث التي ستجري في المستقبل ، وربما كانت هذه الموضوعات بعيدة جدا عن حياتنا الواقعية الا انها مسلية .

ويحدثنا الكاتب « ا.م. فورستر » (٢) في كتابه « مظاهر الرواية » عن القصة (Story) خلاف الرواية ، فيقول ان القارىء التافه هو الذي يطالب بأن تكون الرواية قصة مليئة بالحوادث ، ان متعة القصة وما يجري فيها من احداث متعاقبة شيء فطري وقد كان الانسان قديما يستمتع بهذا النوع من الروايات، أما اليوم فاننا نتذوق الرواية الجيدة لعدة اسباب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فربما لن نهتم بالقصة في حد ذاتها بل تذوقنا أسلوبها الادبي ، وقد لا نعني بالاسلوب بقدر عنايتنا بالشخصيات ، بل ربما برعتنا انتقاداته وآراؤه حول الحياة ، أو اعجبنا بمهارته الفائقة في خلق المغزى ، وفي بعض الاحيان ربما أثارنا الجو العام للكتاب ، ان الرواية المكتملة ترضي جميع القراء ، اذ يكون كل ما فيها جيد .

وثمة عامل آخر لنجاح الرواية هو الفكرة الرئيسية التي تدور حولها والتي تربط اجزاءها وتعطيها نوعا من الوحدة .

وكما يقول الكاتب ارنولد بنيت(٣)(Arnold Bennet) فأن تأليف تولستوي لرواية « حرب وسلام » يضاهي في قيمته بناء اثريا كبيرا قضى المهندس أو المزخرف وقتا طويلا في اعداده واتقانه، كذلك تولستوي قضى ردحا طويلا في كتابة هذه الرواية العظيمة .

وهناك عدد كبير من القصص التي بنيت على فكرة رحلة بسيطة مثل رحلة الحاج (Pilgrims Progress) لبنيان ، والاوديسة للشاعر اليوناني هوميروس وهي ملحمة تحكي قصة رحلة أوليس و « مذكرات بيكويك » لتشارلز ديكنز ، وغيرها . وفي كل هذه الروايات تكون الرحلة هي الخيط الذي يربط جميع اطراف القصة ببعضها البعض.

وفن الترجمة الشخصية (Biography) ينتمي الى الفئة ذاتها ، فالحياة رحلة فيها الكثير من الامور وترتبط فيها الاحداث ببعضها البعض بواسطة العامل الزمني ، ومثل هذا النوع نجده في قصص مثل « الفندق الكبير » لفيكي باوم. ومسرحية جالسورثي(٤) « السطح » ورواية « دافيد كوبر فيلد » لديكنز كتبت على هيئة ترجمة شخصية وهي تبدأ بمولد البطل وتتبع حياته سنة اثر سنة ثم تنتهي بموته وهي قصة حياة عادية .

وقد يبدأ الكاتب من النهاية أو من الوسط ، كما فعل هـ . ج . ويلز (٥) في قصته « الرجل الغامض » اذ قرر ان تبدأ الرواية في وسطها وبعد ذلك روى الحوادث السابقة . وهنا لعب وليز بعنصر الزمن لكي يضمن لقصته أن تخرج على نحو أفضل .

ويفضل قراء الرواية النمط البطولي أو غير الاعتيادي في الشخصيات ، فمثلا جوليفر (٦) يجد نفسه في بلاد ليليبوت وسط أقزام . ثم يرحل الى بلاد اخرى « بروبد سنجناج » حيث العمالقة .

انه لمن الصعوبة بمكان أن نقرر أيا من الرحلتين او المغامرتين اكثر سحرا وتشويقا للقارىء ، فالحياة تبدو أقل تشويقا فيما لو كنا نعيش وسط اناس عاديين .

وهذا لا يمنع من أن بعض الكاتبات وصفن لنا الحياة العائلية العادية كجين اوستن ، وقد نقلنا بعض الروائيين الى أجواء بعيدة،فمثلا «رايدارهاجارد» نقلنا في رواياته الى افريقيا . أما « سومرست موم » فقد جعلنا نعيش في أجواء الشرق الاقصى في كثير من رواياته .

وكما غطى الكاتب الروائي المكان ، كذلك فقد غطى الزمان ، فهناك العديد من القصص التاريخية التي تبحث في كل فترة من فترات التاريخ منذ الطوفان ، بل تبحث في اشياء خيالية يتوقع الكاتب حدوثها في ملايين السنين القادمة كرواية ويلز « آلة الزمان » والمشاهد الاخيرة من رواية شو « العودة الى ميتوشالح (Back to Methosellah)

ومادام كان الروائي مغرما بالطبيعة الانسانية فسيعني في رواياته بالتحليل النفسي ونجده يعتني بالحوار وبتصرفات ابطاله ، لان الكلمات والافعال انما هي تعبير عن الشخصية . على أنه معني بتقصي العوامل التي تشكل الاساس الذي ترتكز عليه حوادث الرواية .

ففي المسرحية لا يمكن تصوير الشخصية الا بالحوار والفعل ، أما في الرواية فان الكاتب يتاح له تحليل الافكار .

وقد بات كتاب الرواية الجدد يحاولون التعمق أكثر وأكثر ، فهم يحاولون اكتشاف اللاشعور في شخصيات رواياتهم،وذلك بغية كشف أغوار نفوسهم، كما فعلت « فرجينيا وولف » (٧) اذ عرفتنا في احدى رواياتها على أفكار ستة من أبطالها .

أما من الناحية الزمنية فهناك ناحية هامة وهي كم ستطول الرواية ؟ .. ربما استمرت حوادثها شهرا ... أو تبدأ وتنتهي في يوم واحد اذا كان المؤلف بارعا بما فيه الكفاية ، بل ان العديد من الروايات الحديثة تنحصر فيه الحوادث ببضع ساعات ، كما حدث في رواية « جيمس جويس » (٨) المسماة « يوليسيس Ulysses) .

ان كتابة الرواية عمل خلاق أو عمل ابداعي . وقد كان لكل كاتب ناقده ، فأرسطو مثلا تتبع كل من سوفوكل ويوروبيديس ، وبويلو (٩) كان ناقدا لموليير، أما عملاقا الرواية هوجو وبلزاك فقد كان لهما أيضا أكثر من ناقد ، هنا يبدو حرص الكاتب على أن يكون عمله متقنا وممتعا في آن واحد . ولا تفوتنا الاشارة الى المتعة التي يشعربها الكاتب عندما يكتب احدى مؤلفاته، مثلما يستمتع القارىء لدى قراءته لهذا المؤلف .

واخيرا يجدر بنا ان نذكر اهمية الحوار في الرواية ، وليس من شك أن عددا قليلا من الناس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقبل على قراءة الرواية التي لا تتميز بكثرة الحوار ، ولا يمكن لاحد أن يغفـــل قيمة الحوار في تصوير الشخصيات ، فباستطاعة الكاتب ان يصف أي انسان وصفا ماديا كأن يصف مظهره الخارجي وعاداتـــه وطبيعته ومميزات شخصيته ، لكنه لا يصبح انسانـــا حقيقيا في نظرنا الا عندما يتحدث .

وتبرز عبقرية بعض كتاب الرواية في الحـــوار البارع الذي يتخلل رواياتهم كما في روايـــة « صورة دوريان جراي كما أنه لا بد للروائى عندما يكتب الحوار أن يراعي مناسبته للعصر الذي يتحدث عنه في الرواية .

« فسكوت » رغم أنه لم يكن يعلم كيف كان الناس يتكلمون في انكلترا في القرن السابع عشر او في عصـــر الحروب الصليبية ، فقد حاول ان يخلق جوا تاريخيـــا بأن جعل ابطال رواياته يتحدثون بلغة جذابة مع بضع عبارات أو الفاظ قديمة مهجورة كما حدث في روايتـــه الشهيرة « ايفانهـــو » .

أما « جين أوستن » فقد نجحت فيما كتبته مـــن حوار يعود الى القرن الثامن عشر كحوار الشقيقتين في روايتها المعروفة « عقل وعاطفة » فانك لو قارنـــت اللغة التي استخدمتها هذه الكاتبة لرأيت اختلافا بينـــا بينها وبين لغة العصر الحاضر .

سماء زكي المحاسني

— دمشق —

(١) أي الاكثر رواجا في البيع .

(٢) كاتب رواية انجليزي اشتهر بمقالاته النقدية في كتابه عن نقد الروايـــة (Aspects of the Novel)

(٣) روائي انكليزي وكاتب مسرحي (١٨٦٧ — ١٩٣١) .

(٤) (Galsworthy) روائي وكاتب مسرحي انكليزي (١٨٦٧ — ١٩٣٣) حصل عام ١٩٣٢ على جائزة نوبل في الاداب .

(٥) (H. G. Wells) روائي انكليزي اشتهر برواياته وكتبه العلمية كآلة الزمان و « تاريخ العلم » وعدد مؤلفاته ٨٠ كتابا .

(٦) قصة جوليفر وهي رحلات يقوم بها في بلاد الاقزام وفي بلاد العمالقة للكاتب الانكليزي « جوناثان سويفت » .

(٧) روائية انكليزية (١٨٨٢ — ١٩٤١) .

(٨) هو كاتب ارلندي عرف بكتابة الرواية والقصة القصـــيرة واشتهر بروايته « يوليسيس » التي ركز فيها الحوادث التـــي تجري في مدينة دبلن مستوحيا احداث « الاوديسة » للشاعر والاديب اليوناني « هوميروس » .

(٩) هو «نيكولاس بويلو» الشاعر والناقد الفرنسي (١٦٣٦—١٧١١) اشتهر بكتابة «فن الشعر» .

وصـــية مُـــدمن

شـــعر : غنيمة الزيـــد

★ كانت تدرس علم النفس وكان من صميم دراستها مشاهـــدة الحالات المنحرفة عن الطريق السوي والمدمنين وهذه حالة شاهدتها تركت في نفسها الصدى التالي :

قصتي سبعون عـــاما ... قصـــة تجدي سوايـــا
فلهذا جئـــت ارويهـــا ... بدمعـــي ودمايـــا
حطمـــت يومي وضـــاع العمـــر افنتـــه يدايا
لم يعـــد لي غير ماض ... بعثرت فيه الخطايـــا
زوجتـــي الثكلـــى ، بناتـــي ، طفلتي الصغرى ضحايا
شتت الادمـــان فكـــري ... ففـــدا عقلـــي شظايـــا
وسبـــى منـــي رشادي ... فاذا رشـــدي بقايـــا
ان يكن حان رحيلـــي ... ودنـــت منـــي المنايا
حملت كفـــاي نعشـــي ... وبكتنـــي مقلتايـــا
بلغوا الاخبـــار عنـــي ... وانشروا بعدي الوصايا
فعـــزائي ان دائـــي ... عبرة تجـــدي سوايـــا

الكويت — غنيمة الزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com